حادثة أصحاب الكهف: دراسة في زمنهم ومدة اللبث، رؤية جديدة من منظور تاريخي

عبد العزيز حسن الوظاف

طالب ماجستير علوم سياسية في جامعة الملك سعود

21yes.good.39@gmail.com

©نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution international (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أجريت عليه.

للاقتباس: الوظاف، عبد العزيز حسن، حادثة أصحاب الكهف: دراسة في زمنهم ومدة اللبث، رؤية جديدة من منظور تاريخي، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، المجلد: 19، العدد: 2، 2024: 549-597.

تاريخ استلام البحث: 2024/05/09م تاريخ قبوله للنشر: 2024/12/19م

DOI: https://doi.org/10.61821/v19i2.0179

الملخص:

تناول هذا البحث قصة أصحاب الكهف من منظور تاريخي بحت، وتعامل معها على أنها حادثة حقيقية في زمن محدد من التاريخ، وحقق مدة لبث الفتية، وأعاد النظر في المدة المحددة بـــ(309) سنوات، وذلك بالنظر في ارتباط مدة اللبث مع مدة حياة عيسى -عليه السلام-، وناقش ارتباط الحادثة ببعثة النبي محمد -عليه الصلاة والسلام- وذلك بالنظر في أسباب نزول الآيات وإعادة دراسة معنى الروح ومعنى الرقيم، مع محاولة ضبط الزمن الحقيقي للحادثة.

ومن أهم النتائج التي توصـــل إليها البحث: أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين حادثة الكهف وكل من حياة عيسى وبعثة النبي محمد -عليهما الصلاة والسلام-، وأن هناك ارتباطًا وثيقًا زمنًا ومكانًا بين حادثة أصحاب الكهف وظهور طائفة الأريسيين التي ظهرت في بداية القرن الرابع الميلادي. كان زمن الحادثة متوسطًا تمامًا بين وقت عيسى -عليه السلام- وبين وقت رسالة نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، وكان هذا هو السبب المتوقع لجعل سورة الكهف في منتصـــف القرآن الكريم، وأن الحكمة من الحادثة كان تأييدًا لمن رفض عقيدة الثالوث، وإثبات وحدانية الله جل وعلا، والتأكيد على أن عيسى ابن مريم بشر رسول من عند الله، وعملت الحادثة على تصحيح الحساب والتقويم الذي كان يعمل به اليهود والنصارى منذ ميلاد المسيح عليه السلام، وأن المقصود بالفترة ثلاثمائة في الآية الواردة في سورة الكهف هي ثلاثمائة شهر وليس سنة، وجاءت كلمة سنين قرينة لتوضح ذلك.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الأقباط، الزمان، المكان، الأريسيون، الرقيم.

The Incident of the Companions of the Cave: A study of their time and the length of stay, a new vision from a historical perspective

Abdulaziz Hasan Al-Wadhaf
Master's student in political science at King Saud University

©This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
Citation: Al-Wadhaf, Abdulaziz Hasan, The Incident of the Companions of the Cave: A study of their time and the length of stay, a new vision from a historical perspective, Journal of the University of Holy Quran and Islamic Sciences, volume: 19, issue:2, 2024: 549-597.
DOI: https://doi.org/10.61821/v19i2.0179
Received: 09/05/2024 Accepted: 19/12/2024

Abstract:

This paper attempts to discuss the story of the people of the Cave as narrated in Holy Quran using a historical theoretical approach. It aims at dealing with it as a truthful incident that was in a definite period of history. Considering the story from the moment Allah (SWT) disabled the youths' ability to hear till they were awaken again, we will attempt a significant review to the period of stay of these young men in the Cave. Consequently, our discussion will concentrate on three arguments relevant to the period of their stay. The first argument is to question the already determined period of their stay in the Cave as 309 years. This is done by making a connection between this period of stay and the lifespan of prophet Jesus .

The second argument is about making a connection between this period and the mission of our prophet Mohammed (PBUH). This is done by studying the reasons of revelations of Qur'anic verses in question on the one hand, and by re-examining the concepts of spirit and that of inscription on the other. Then, in the third argument we try to reach the exact time of the incident by studying the relationship of the incident to Arius or the Arisian faith and the Council of Nicaea, then their relationship to Egypt

and the Coptic calendar of martyrs.

Among the many significant findings of this study is that there is a close connection between the incident of the cave and the lives of both prophets Mohammed and Jesus (PBUT). In addition, It has also been found that there is a remarkable spatio-temporal connection between the incident selected for this study and the emergence of the Arisian ethnic group that appeared at the onset of the fourth century A. D.

Keywords: Quran, Copts, time, place, Arisians, the inscription were.

المقدمة:

تُعد قصة أصحاب الكهف التي أوردها القرآن الكريم من القصص الفريدة والمليئة بالغرابة والإدهاش، ولولا قداسة مصدرها لدى من يؤمن بهذه القداسة لكانت من جملة الأساطير التاريخية التي يسهل ردها والتكذيب بها. وأما غيره من المصادر ككتب التفسير والتاريخ وغيرها، فقد دخلها كثير من التفاصيل والإضافات أفضت إلى جدل وخلاف وتشعبات كثيرة لا تخلو من الخيال والإغراب عمل البحث على تجاوزها.

أهمية الدراسة:

لهذه الدراسة جانبان من الأهمية:

الأول: نظري، يحقق القصة ويتعامل معها على أنها ليست مجرد قصة عادية، فلن تصرف اهتمامها إلى جانبها السردي وجمالها الأدبي، وما أضيف إليها من أساطير، وشخصيات خيالية، وإنما ستتناولها من حيث هي حادثة تاريخية وقعت في زمن معين وفي تاريخ محدد، ومن هذا الجانب تقع الأهمية النظرية للدراسة، وذلك لندرة الدراسات التي تتناول القصة من هذا المنظور.

الثاني: علمي، يقرب وجهات النظر عن موقع كهف أصحاب الكهف، وذلك بمقاربة معرفية تحدد مكانًا جديدًا أو تؤيد مكانًا سبق تحديده، وذلك من خلال ما تقدمه من نتائج، بحيث يكون ذلك الموقع موافق لزمن أصحاب الكهف والمنطقة التي عاشوا فيها.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات متعددة تناولت القصة من منظور سردي أدبي، وليس من منظور تاريخي صرف، وذلك لما يكتنفها من الغموض وسيطرة الرواية المسيحية على تفاصيل الحادثة، إلا أن هناك دراسة مهمة وجديرة بالذكر هي دراسة أحمد المجذوب، وهو كتاب بعنوان أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، ويعتبر هذا الكتاب دراسة تاريخية مقارنة بين تعامل الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام مع قصة أصحاب الكهف، ولم يقتصر المجذوب بالبحث عن القصة في التوراة والانجيل، وإنما حاول البحث عنها في كامل التراث اليهودي والمسيحي. وقد خرج بحصيلة أن القصة لم ترد في التوراة ولا في الإنجيل، كما أن أحداثها لم يوجد لها أثر في التراث اليهودي وإنما تم ذكرها أو الإشارة إليها في بعض المصادر المسيحية وكانت البداية في القرن الخامس الميلادي من كتابات يعقوب الساروجي وذلك تحت ما يسمى بقصة النيام السبعة، ومن ذلك أكد أنها حدثت بعد ميلاد المسيح، وأن أصحاب الكهف هم من الطائفة النذيرية اليهودية الذين كانوا مؤمنين بنبوة عيسى، وقد حدد أن زمن لجوء الفتية إلى الكهف كان عام 166 ميلادية، وبعثتهم كانت بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين من ذلك التاريخ.

المنهج:

بحسب توجه القصة نحو المنظور التاريخي، استعان البحث بالمنهج التاريخي، استنادًا على المعطيات التاريخية؛ لوضعها في المكان الصحيح من سلم التاريخ، بغير مخالفة لما جاء صراحة أو ضمنًا في الآيات الواردة في سورة الكهف التي وردت فيها القصة.

الإشكالية:

في ضبط الزمن الحقيقي للحادثة تنطلق الدراسة من إشكالية رئيسة تُفيد أن مدة الـ(309) سنوات ليست هي مدة رقود أهل الكهف في كهفهم منذ أن ضرب الله على آذانهم وحتى بعثتهم من مرقدهم، وإنما هذه المدة هي المدة من زمن الحادثة وحتى بعثة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وذلك لعدة شواهد ومعطيات تاريخية، أما مدة رقودهم فهي مدة

أخرى، سنحاول تحديدها في هذه الدراسة.

أسئلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما علاقة حادثة أصحاب الكهف بعيسى عليه السلام؟، وما مدة اللبث الصحيحة للفتية في الكهف نيامًا؟ وما علاقة الحادثة والمدة ببعثة نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام؟

محاور الدراسة:

قُسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث، كل مبحث ينقسم إلى ثلاثة مطالب، تناول المبحث الأول: مراجعة مدة اللبث وعلاقتها بحياة عيسى -عليه السلام-، ويتكون من أربعة مطالب هي:

المطلب الأول: الحكمة من الحادثة،

المطلب الثاني: الأدلة من كتب التفسير،

المطلب الثالث: الدلائل اللغوية،

المطلب الرابع: الدلائل الفلكية.

وتناول المبحث الثاني: علاقة الحادثة ببعثة محمد- عليه الصلاة والسلام-، ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: سبب نزول الآيات،

المطلب الثاني: معنى الروح،

المطلب الثالث: معنى الرقيم.

وتناول المبحث الثالث: الزمن الحقيقي لحادثة أصحاب الكهف، ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإشارة إلى المدة في كتب التفاسير،

المطلب الثاني: علاقة أصحاب الكهف بالأريسية ومجمع نيقيه،

المطلب الثالث: علاقة أصحاب الكهف بتقويم الشهداء القبطي.

المبحث الأول

مراجعة مدة اللبث وعلاقتها بمدة حياة عيسى –عليه السلام–

مدخل:

عند مراجعة الأدبيات حول حادثة أهل الكهف نجد اختلافًا بين الدارسين في ملة الفتية وملة قومهم وهذا بسبب الاختلاف في زمنهم، هل كان قبل عيسى بن مريم –عليه السلام–، أم بعده؟ وأكثر الأقوال والدراسات تؤكد على أنهم بعد عيسى –عليه السلام–((1)).

وعند مراجعة مدة اللبث لابد من مراجعة الحكمة من الحادثة، وهي ليست كما يُشتهر في كتب التفسير على أنها من أجل إثبات البعث وقدرة الله على إحياء من في القبور، فهذا المغزى من الحادثة لا يتفق أبدًا مع ما ورد في الآيات في أول سورة الكهف التي تشير إلى عيسى –عليه السلام– وإلى توبيخ وإنذار من ادعى أنه ابن لله، والقصة في أول السورة تتعامل مع قوم وليس مع ملك، ولا يوجد أي ذكر لملك أو حتى إشارة تشير لذلك، لا ضمنًا ولا صراحة منذ بداية القصة وحتى نهايتها.

المطلب الأول: الحكمة من الحادثة

بالنظر للحادثة من زاوية تاريخية يمكن تقسيم الحكمة منها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: تصحيح لمدة زمنية كانت سابقة للحادثة، وذلك استنادًا على الآية: "ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا"[الكهف:12]. وسواء كان الحزبان من الفتية أصحاب الكهف أنفسهم أو من قومهم، فبحسب ما يُفهم من الآيات كان هناك إحصاء معين لفترة سابقة، ربما تكون مرتبطة بعيسى –عليه السلام–إما مولده أو بعثته أو وفاته، فجاءت الحادثة لتصحيح تلك المدة.

الثاني: إعلام خاص للفتية أنفسهم لفترةٍ زمنية محددة كانوا مختلفين حولها؛ وذلك استنادًا على قوله تعالى:" وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ"، حيث تدل الآيات على وجود اختلاف فيما

(1) المجذوب، أحمد: أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، ص175.

بينهم، فكانت مدة رقودهم مدة زمنية صـــحت لهم الخلاف فيما بينهم، ولعله كان متعلقًا بحياة المسيح –عليه السلام–فضرب الله على آذانهم في الكهف في الفترة نفسها.

الثالث: التصـــحيح لفترة زمنية تأتي بعد الحادثة، وذلك اســـتنادًا على الآية:" وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّـــاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا" [الكهف: 12]. وهو أن الحزبين اللذين كانا مختلفين في الإحصـــاء لفترة ماضـــية فإن هذه الفترة كانت لحســـاب حدث معين سـيكون في المسـتقبل أيضًـا، وبسـبب اختلافهم جاءت الحادثة تصـحيحًا لذلك الإحصـاء وإعلامهم بالمدة الصـحيحة التي كانت والتي سـتأتي، ولعلها تكون بعثة نبي آخر الزمان الذي أخبرت به التوراة وبشـــر به الإنجيل، وهو الوعد المرتقب الذي من ظاهر الآيات يتبين أنهم يحصون المدة حتى يتحقق وقوعه.

وعليه فإن الحادثة بجوهرها وبكل تفاصيلها عبارة عن حدث تصحيحي لحساب زمني يتمثل في التاريخ للفترة الماضـــية التي كانت ســـابقة للحادثة، وهي في الوقت نفســـه إعلام للمســتقبل وتأكيد على تحقيق وعد معين في زمن مُحدد، وهي كذلك تأييد للفتية وتأكيد لهم بفترة معينة كانوا مختلفين حولها، من المحتمل أنها مدة حياة عيسـى –عليه السـلام–، فكانت المدة التي ناموا فيها مساوية لتلك المدة.

وعند البحث عن مدة حياة المسيح في المصادر التي تناولت حياته –عليه السلام–نجد أنها حوت اختلافًا كثيرًا في ذلك، والاختلاف هنا لم يكن حول مدة حياته فقط، بل هناك اختلاف واسع حول سنة الميلاد[1]. وزيادة عليه فإن التقويم الحالي لا يدل على ميلاد المسيح أو التاريخ الحقيقي لميلاده، والكنيسة لم تبدأ الاحتفال بعيد الميلاد إلا منذ بداية القرن الثالث، حيث كان يحتفل به في السادس من يناير[2].

وحول سـنة ميلاد المسـيح هناك اختلاف كثير، فالبعض يقول إن سـنة الميلاد متقدم على الســـنة الأولى ببضـــع ســـنوات، وعلى أصـــح التقديرات فإنه لم يوُلد في الســـنة الأولى

(1) العقاد، عباس: حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، ص85.

(2) الخضري، حنا: تاريخ الفكر المسيحي، يسوع المسيح عبر الأجيال، ص165.

للميلاد[1]. وهناك بعض المحاولات التي عملت على ضبط السنة المحددة منها محاولة الأب (هولز مشتين) الذي حاول جمع بعض الوثائق التاريخية الخاصة بميلاد المسيح واستنتج أن الميلاد حدث ما بين سنة (5) قبل الميلاد وسنة (2) قبل الميلاد، وبعض المؤرخين يظن أن سنة الميلاد تقع بين سنة (7 ق.م) وسنة (3 ق.م)[2].

وحول حياة المسيح بشكل عام فإنها في الأناجيل مبعثرة ومتناثرة، وتعتبر الفترة منذ ولادته إلى أن بدأ بالتبشير فترة مجهولة وغير معروفة[3]. وبعض الدراسات تقرر أن الفترة الثانية من حياته والتي تُسمى الخدمة العلنية تبدأ عندما بلغ الثلاثين من عمره، وذلك استنادًا لمقولة القديس لوقا: "ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة"[4]. كما أن بعض الدراسات تبين أن عمر عيسى –عليه السلام– كاملًا ثلاثة وثلاثين عامًا طبقًا لما جاء في إنجيل يوحنا، أو واحدًا وثلاثين عامًا حسب مرقس[5]. ويقول أبو الفداء: إن المسيح عاش إلى أن رفع ثلاثًا وثلاثين سنة[6]. وبذلك قال الشعراوي.[7].

وعليه فإنه من الصعب الوصول إلى نتيجة قطعية تحدد مدة حياة المسيح –عليه السلام– من تلك الأدبيات، لكن يمكن الاستفادة من حادثة أصحاب الكهف في التوصل إلى تحديد ذلك، وذلك حسبما تقدم حول الحكمة من الحادثة، والتي منها أنه كان هناك خلاف بين الفتية أنفسهم حول مدةٍ معينة، وتكون هذه المدة مدار ضبط أوقات عباداتهم، خصوصًا أيام الصوم. ولعل هذه المدة هي مدة حياة المسيح ويوم ميلاده ووفاته، وعليه أتت

(1) العقاد، ص77.
(2) الخضري، ص165.
(3) المصدر السابق، ص202.
(4) الخضري، ص211.
(5) النحال، بهاء: تأملات في الأناجيل والعقيدة، ص13
(6) ابن كثير، أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم، 36/1.
(7) الشعراوي، محمد: تفسير الشعراوي الخواطر، 5/ 868.

الحادثة لتبين لهم بالدقة تلك المدة، وهذا من الهدى الذي هداهم الله إليه.

المطلب الثاني: الأدلة من كتب التفسير

حُددت مدة لبث الفتية في قوله تعالى: "وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا"[الكهف: 25]. وما ينبغي التنويه عليه هنا هو الخلاف بين المفسرين في بعض القضايا التي اشتملت عليها الآية، لنستفيد منها في إثبات فرضيات البحث.

أوردت بعض كتب التفسير أن الآية في أول نزولها جاء العدد (ثلاثمائة) فيه مذكرًا بغير تمييزه؛ فلم يُعلم هل هي سنين أم شهور أم أسابيع أم أيام؟، فقد روى الطبري في ذلك عن الضحاك بن مزاحم قال: نزلت هذه الآية " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ " فقالوا: أيامًا أو أشهرا أو سنين؟[1].

وأما ما يتعلق بتمييز التسع فقد أورد القرطبي في ذلك قول القشيري ما نصه: "لا يُفهم من التسع تسع ليالٍ وتسع ساعات، لسبق ذكر السنين"، وروى في ذلك عن الضحاك أنه قال: "لما نزلت ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةٍ قالوا سنين أم شهور أم جمع أم أيام؟ ويقول في تفسيره عن التسع:" أنه لما قال "وازدادوا تسعًا" لم يدرِ الناس أهي ساعات أم أيام أم جمع أم شهور أم أعوام؟ وفي ذلك اختلف بنو إسرائيل بحسب ذلك فأمر الله تعالى برد العلم إليه في التسع فهي على هذا مبهمة، ويقول إنه من ظاهر كلام العرب يفهم على أنها أعوام"[2].

وذكر السيوطي في كتابه أسباب النزول أن ابن مردويه أخرج عن ابن عباس قال: أُنزلت (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة)، فقيل: يا رسول الله، سنين أو شهور؟، فأنزل الله سنين و"ازدادوا تسعًا"[3].

ويقول ابن عثيمين: إن سنين تمييز مُبين لثلاثمائة، لأنه لولا كلمة سنين لكنا لا ندري هل ثلاث مائة يوم، أو ثلاث مائة أسبوع، أو ثلاث مائة سنة؟، فلما قال (سنين) تم فهم

(1) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكة المكرمة، 17/ 648.

(2) القرطبي، محمد: الجامع لأحكام القرآن، ص386.

(3) السيوطي، جلال الدين: لباب النقول في أسباب النزول، ص129.

ذلك. ويقول حول (وازدادوا تسعًا). أنهم ازدادوا على الثلاثمائة تسع سنين فكان مكثهم ثلاث مائة وتسع سنين، ويستطرد في ذلك بأنه قد يقول قائل:" لماذا لم يقل ثلاثمائة وتسع سنين؟" فيجيب على ذلك بأنه نفس المعنى، لكن من بلاغة القرآن ومن أجل تناسب رؤوس الآيات قال: ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا [1].

ومهما يكن من مرويات حول تفسير تلك الآية وصحتها، فإن هذه الروايات تثبت وجود الخلاف حول المقصود بالثلاثمائة، ومن الممكن الاعتماد عليها كونها مرويات تاريخية، بحيث تساعد في تقديم الفرضية بعدم قطعية تحديد مدة رقود فتية الكهف أنها ثلاثمائة سنة. وبذلك ومن خلال التساؤلات التي وردت عند نزول الآية يمكن القول إن المقصود بالثلاثمائة هي شهور، وذلك بالاعتماد على إمكانية تقدير محذوف في القرآن الكريم، فحذفت كلمة شهر تمييزًا للعدد، وحلت محلها سنين، فيكون تقدير الآية (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة شهر وازدادوا تسع سنين)، وأغلب المفسرين وكما بينا سابقًا قد اختلفوا أيضًا في تحديد تمييز التسع بسبب أنها جاءت مبهمة، فقال أغلبهم هي تسع سنين.

ومما سبق فإنه يمكن للباحث الترجيح أن المقصود هي ثلاثمائة شهر، ولابد أن تكون قمرية، لأنه من غير الممكن أن نحسب شهور السنة القمرية بالشهور التي هي في السنة الشمسية، وذلك لأنها شهور اصطلاحية تطورت حسب تطور التقويم الشمسي الذي يعتمد على دورة الشمس السنوية، أما الأشهر القمرية فهي تتناسب مع الدورة الفلكية الشهرية للقمر، وهي تساوي 25 سنة قمرية، وعلى ذلك المنوال لابد أن تكون التسع سنين قمرية، ويكون المجموع 34 سنة قمرية.

المطلب الثالث: الدلائل اللغوية

بحسب قواعد النحو فإن المائة ومضاعفاتها يكون تمييزها مفردًا مضافًا، فيقال مائة سنة، وثلاثمائة سنة، ولنا أن نتساءل: لماذا على خلاف القاعدة النحوية حول العدد وتمييزه جاء هنا بسنين وليس سنة؟ فلو كان المراد بالثلاثمائة أن تكون سنين لكانت وفق القاعدة،

(1) العثيمين، محمد: تفسير سورة الكهف، ص50.

وحسب أسلوب القرآن والقاعدة النحوية يُفترض أن يقول: ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعًا، وقد انقسم المفسرون والنحويون في تبرير ذلك إلى ثلاثة أقوال أوردها الشوكاني في تفسيره فتح القدير[1]، وهي على النحو الآتي:

- بدل أو عطف بيان: وهو قول الجمهور وتكون القراءة في ذلك بتنوين مائةٍ ونصب سنين.
- وجود تقديم وتأخير: على أن التقدير سنين ثلاثمائة، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة والزجاج والكسائي.
- تمييز: وذلك على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز، وتكون القراءة بإضافة مائةٍ إلى سنين، وهي قراءة حمزة والكسائي.

لكن وبحسب فرضية هذا البحث ومن زاوية تاريخية، وكما اقترحنا أن لهذه المدة علاقة بمدة حياة عيسى -عليه السلام-، وعلى افتراض أنه لابد أن يكون هناك سبب في ذلك يشير إلى شيء ما، فإن ما يراه الباحث لتجاوز هذه الإشكالات هو تقدير محذوف بحسب ما يقتضيه سياق الآية.

والحذف من شجاعة العربية، كما يقول ابن جني في الخصائص[2]، ومظاهره في القرآن الكريم كثيرة جدًا[3]. فكلمة سنين جاءت هنا لتحل محل المحذوف وهو كلمة شهر، ولا يمكن أن نتألى على الله، لكن هذا هو الأقرب للواقع والمؤيدات الأخرى وهو وارد في القرآن الكريم. "فمضمون الآية، والله أعلم، أنها: ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة شهر وازدادوا تسع سنين، فحذف شهر، وجيء بسنين فوضعت موضعها.

وقد يقال: ما الفائدة من ذكر كلمة سنين بهذه الصورة وفي هذا الموضع؟، وللإجابة عليه، وبغض النظر عن الأقوال الواردة في كتب التفسير، فإنه وبنظرةٍ تحليلية، وبالجمع فيما

(1) الشوكاني، محمد: فتح القدير، 330/3.

(2) ابن جني، عثمان: الخصائص، 362/2.

(3) المطعني، عبد العظيم: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 6/2.

بينها وضبطها بمنهجية الدراسة، نستطيع بيان ذلك في النقاط الآتية:

- قدم سنين بعد الثلاثمائة وأبهم التسع من أجل تناسق رؤوس الآيات، وتوحيد النظم القرآني، ولبلاغة القرآن، وهو ما قاله ابن عثيمين كما تقدم في المطلب السابق.
- حُذفت كلمة شهر، لتدل عليها كلمة سنين، فلا يمكن بعد ذلك أن نقول إنها أيام، لأن وجود كلمة سنين محل كلمة شهر من غير الممكن أن تُفهم على أنها أيام، لأن الثلاثمائة ليلة لا تصل في العدد إلى كونها سنين، وذلك بالاستناد إلى إعراب سنين بدلًا في هذا الموضع. وكذلك نستطيع أن نستبعد أنها تكون أسابيع أو جُمع لأن كلمة أسبوع تمييزًا للعدد لم يرد لها ذكر في القرآن ولم يتم التعامل معها في الحساب، لأن الأسبوع لم تدل عليه دورة فلكية لا في دورة القمر ولا دورة الشمس، وذلك بالاستناد على قوله الله تعالى" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ"، أما اليوم والشهر والسنة فهي تمثل دورات فلكية لكلٍ من الشمس والقمر.
- كلمة سنين بهذه الصورة وفي نفس موقعها تجعل الآية تشير إلى أن هناك لبثين تتحدث عنهما القصة: الأول هو لبث الفتية في كهفهم رقودًا إلى بعثتهم، والثاني هو مدة اللبث منذ بعثتهم إلى وقت نزول القرآن أو بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.
- عند انتقال كلمة سنين من آخر الآية إلى بعد الثلاثمائة أصبحت تسعًا مبهمة، ولذلك فإنه يسع تسعًا أن تكون سنين أو ليال أو ساعات، ومن الممكن كل ذلك.

وبذلك فإننا نستطيع الخروج بنتيجة مفادها: أن المدة هي ثلاثمائة شهر وتسع سنين، ولو حسبنا عدد الثلاثمائة شهر بالسنين نجد أنها تساوي 25 سنة تمامًا، وبإضافة التسع سنين إليها يكون المجموع 34 سنة.

ولأن (تسعًا) جاءت غير مميزه، فمن الممكن أن يُقال: إنها تسع سنين، أو تسع ليالٍ، أو تسع ساعات. وهناك إشارة لتأكيد ذلك من خلال الآيات، وذلك عند اختلافهم في تساؤلاتهم وقت بعثتهم: "وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم، قال قائل منهم كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم"، وفي هذا الاختلاف يقول ابن كثير: "لأن دخولهم إلى الكهف في

أول نهار واستيقاظهم في آخر نهار، ولهذا استدركوا فقالوا أو بعض يوم" قالوا ربكم أعلم بما لبثتم"[1]. ويقول الزمخشري في الكشاف: "أنه روي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم"[2]. كذلك يقول القرطبي: "أنهم دخلوا غدوة وبعثهم الله في آخر النهار"[3].

وتلك الفترة التي جعلتهم يختلفون ذلك الاختلاف وقت بعثتهم والتي تكلم عنها المفسرون من الممكن جدًا أن تكون تسع ساعات من ساعة رقودهم إلى ساعة بعثتهم، يكون لبثهم في كهفهم: ثلاثمائة شهر وتسع سنين وتسع ليال وتسع ساعات.

المطلب الرابع: الدلائل الفلكية

بما أن المؤيدات اللغوية رجحت لنا مدة السنين، فإن الحسابات الفلكية تؤيد بشكل أوضح وأكثر تحديدًا لهذه المدة وبشكل أدق لعدد الليالي والساعات وذلك كما يأتي:

من خلال الآيات وفي وقت تساؤلهم لنا أن نتساءل نحن عن سبب تساؤلاتهم، ولماذا تحديدًا كانت الإجابة فيما بينهم يومًا أو بعض يوم؟ ولماذا كان الاختلاف فيما بينهم بتلك الصورة بالتحديد؟ ومن خلال محاولة الإجابة على ذلك يتضح أنهم كانوا مختلفين فيما بينهم بإحدى طريقتين:

الأولى: كان ظن فريق منهم أنهم لبثوا يومًا كاملًا، بينما ظن الفريق الثاني أنهم لبثوا جزءًا من اليوم.

الثانية: أنهم أنفسهم جميعًا كان ظنهم في البداية أنهم لبثوا يومًا كاملًا، لكن مع وجود شواهد فلكية في تلك اللحظة جعلتهم يغيروا رأيهم إلى أنهم لبثوا جزءًا من اليوم، فقط، وليس يومًا كاملًا، ثم مع كثرة التساؤلات والتفكير والنظر إلى السماء من حولهم والتأمل في القمر فإنهم أجمعوا جميعًا أن المدة لا يمكن أن تكون لا يومًا واحدًا، ولا جزءًا من اليوم، بل هي فترة لم

(1) – ابن كثير، ص131.

(2) – الزمخشري، 710/2.

(3) – القرطبي، ص275.

يستطيعوا معرفتها، وبذلك أحالوا العلم بها إلى ربهم.

ومن خلال ما ذُكر سابقًا من أن أصحاب الكهف كانوا يعتمدون على الحساب القمري، فإنه وتوافقًا مع سياق الآيات ومع النتائج إلى هذه الجزئية من الدراسة، فإنهم ناموا في أول الليل وكانت يقظتهم في ساعة متأخرة من الليل، لكن في ليلة أخرى من ليالي الشهر الذي كانوا فيه.

ولو أخذنا اختلافهم بالطريقة الثانية فإنه يمكن تفسير ذلك فلكيًا على أن السبب الذي جعلهم يقولون في البداية أنهم لبثوا يوما كاملًا هو أنهم استيقظوا والقمر في نفس موقعه في السماء ومقارب للمنزلة التي كان عليها في أثناء بداية رقودهم، لكن مع الملاحظة بشكل أدق تغير رأيهم بسبب ظهور دلائل تبين أنهم كانوا في آخر الليل وليس في أوله، ثم تغير قولهم إلى أنهم لبثوا بعض يوم. ومع ملاحظاتهم السابقة من عدم تحرك القمر إضافةً إلى ملاحظات فلكية أخرى أصبح قولهم جميعًا أنهم لبثوا مدة لا يمكن أن تكون لا يومًا واحدًا كاملًا ولا جزءًا من يوم، وأن تخمينهم لتلك المدة القصيرة التي حصروها في يوم واحد أو جزء من اليوم كانت خاطئة، ومن الدلائل التي تؤكد أنهم كانوا في آخر الليل أو مطلع الفجر والتي في نفس الوقت جعلتهم يجمعون على قول واحد بعد معرفتهم المدة الحقيقية هو شروق الشمس، حيث إنه مع طلوع الصباح وبداية الشروق كان موقع الشمس قد تغير على اليوم السابق بدرجة كبيرة، أو من الممكن أنه كان في نفس موقعه من السماء في نفس اليوم الذي دخلوا فيه.

ومن الدلائل التي تشير أنهم كانوا قريب الصبح والتي نستنبطها من خلال الآيات، أنهم قالوا مباشرة: " فَابْعَثُوا أَحَدَكُم" وهذا يشير على قرب بداية النهار من وقت بعثتهم، بحيث أنه وقت مناسب للخروج وأخذ ما يلزم من احتياجات، وهو الوقت الذي عادة تنعقد فيه الأسواق وتُفتح كل الحوانيت والمحال التجارية.

وبمزيد من التفصيل، والتأمل بشكل أعمق فلكيًا في فهم منازل القمر وشروقه وغروبه، ولحسم ذلك الاختلاف فإنه لا يمكن أن نقول إن الليلة التي ناموا فيها هي الليلة نفسها من

ذلك الشـــهر، لأنها لو كانت كذلك لما قالوا عند يقظتهم أنهم لبثوا يومًا واحدًا، لأن موقع القمر في الســـماء في آخر الليل يختلف، وكذلك فإنه حجمه في الليلة الثانية يكون إما أكبر إذا كانوا في ليالي النصف الأول من الشهر، أو أصغر إذا كانوا في النصف الثاني.

ولضبط المدة بأكثر دقة فمن المؤكد فلكيًا أنه لا يمكن الجزم بصحة ذلك الوصف في الآيات إلا على النحو الآتي:

- أنهم كانوا قبل نومهم في ليلة كانت في النصف الأول من الشهر، والليلة التي استيقظوا فيها كانت في النصف الثاني من الشهر، بحيث أن حجم القمر كان قريبًا من حجمه في النصف الأول، أو أكبر قليلًا وكأنه في اليوم الثاني.

وعلى سبيل المثال يكون حجم القمر في ليلة السابع من الشهر يساوي حجم القمر في ليلة الواحد والعشرين، لكنه في ليلة السابع في طريقه نحو الاكتمال، بينما في ليلة الحادي والعشرين يكون في طريقه نحو النقصان، وبين ليلة السابع وليلة الحادي والعشرين أربع عشرة ليلة.

- ولو تتبعنا ذلك في جميع ليالي النصـــف الأول وموازاتها على الطريقة نفســـها مع ليالي النصف الثاني فإن أنسب ليلتين تتطابقان مع الوصف القرآني هما ليلة التاسع من الشهر وليلة الثامن عشر من نفس الشهر. وما يؤكد لنا ذلك أن الفارق بين هاتين الليلتين هو تسع ليالٍ.
- لا يمكن أن يكون القمر في ليلة التاسع في موقعه نفسه من السماء في ليلة الثامن عشر إلا بعد تسع ساعات تمامًا.

على سبيل المثال لو كان القمر في نقطة معينة من السماء في الساعة السابعة مساء، فإن موقعه في النقطة نفسها في ليلة الثامن عشر هو في تمام الساعة الرابعة فجرًا، أي يكون الفارق بين الوقتين هو تسع ساعات.

- عند الملاحظة الدقيقة للقمر نجد أنه في ليلة الثامن عشر يكون مشابهًا بنسبة كبيرة جدًا لحجمه في ليلة التاسع أو العاشر من الشهر، وهذا هو الشيء الذي جعلهم في البداية

يقولون إنهم لبثوا يومًا واحدًا كاملًا لأنهم لم يتصوروا أول الأمر أن لبثهم كان طويلًا، أي كان ظنهم أنهم استيقظوا في الساعة نفسها من اليوم الثاني.

- مع ظهور شواهد أخرى اتضح لهم أخيرًا أنهم كانوا في آخر الليل أو مطلع الفجر، وبالتالي تبدل قولهم إنهم من المحتمل أنهم لازالوا في الليلة نفسها لكن في آخر الليل وبذلك قالوا بعض يوم، ويجوز أنهم كانوا يقصدون يوم وبعض يوم.
- من الملاحظة الحركية للقمر نجد أنه في ليالي النصف الأول من الشهر يكون القمر متجهًا نحو الاكتمال ليكون بدرًا، بينما في ليالي النصف الثاني من الشهر يكون القمر متجهًا نحو التراجع من كونه بدرًا، وعليه، فإن تغير سير اتجاه القمر في آخر ليلة الثامن عشر هو من الأسباب الفلكية التي جعلت الفتية يحتارون ويغيرون أقوالهم المختلفة إلى الاتفاق على رأي واحد وهو أنهم لم يستطيعوا ضبط المدة التي ظنوا أنها في البداية، إما يوم أو بعض يوم.
- ومن الملاحظة الشكلية للقمر نجد أنه في ليلة الثامن عشر يكون الجزء المضيء منه هو الجزء الآخر الذي كان مظلمًا في ليلة التاسع، وهذا من الشواهد الفلكية التي حيرتهم، وغيرت من آرائهم.
- موقع القمر في السماء وقربه من محور الأرض أو بعده، وبوجود الفجوة التي كانت في الكهف ومن خلال تساؤلاتهم نستطيع القول إن فصل السنة الذي كانوا فيه بداية رقودهم هو نفس الفصل الذي استيقظوا فيه، بحيث يكون القمر في نطاق الرؤية من خلال الفجوة، وفي المسار نفسه من قطر الأرض، ومن الممكن جدًا أن الزمن كان فصل الربيع أو فصل الخريف، إذ هو زمن اعتدال الطقس، ولا توجد أي إشارة إلى أن الطقس كان حارًا أو باردًا، وهذا ما جعلهم يناومون بكل أريحية ويستيقظون في نفس الطقس المعتدل بكل أريحية. ومن ذلك نستنتج أنهم كانوا في أيام الاعتدال الربيعي أو الاعتدال الخريفي، بحيث كان فيه الجو معتدلًا، وساعات الليل تقريبًا تساوي ساعات النهار.

الخلاصة:

مما تقدم وتناسقًا مع الدلائل اللغوية السابقة وفي ضوء الآيات يترجح لدى الباحث أنه بدأ الضرب على آذانهم في بداية ليلة التاسع من الشهر القمري الذي كانوا فيه، وبعثوا في نهاية ليلة الثامن عشر من اسم الشهر ذاته، وفي ذات الفصل السنوي، لكن بعد 34 سنة، وذلك يتوافق تمامًا مع ثلاثمائة شهر وتسع سنين وتسع ساعات، فلا يمكن أن يتطابق هذا فلكيًا مع قولهم يومًا أو بعض يوم بتلك الطريقة إلا في هذه المدة. وموقع القمر بداية الليلة التاسعة وحجمه يتشابه مع موقع القمر في السماء بعد تسع ليال وتسع ساعات من الشهر نفسه، ولن يحدث ذلك بهذه المدة وبذلك الوصف إلا في هذه الفترة.

وهذه صورة تقريبية لمنازل القمر يظهر فيها التطابق أو التشابه الكبير بين حجمه في ليلة التاسع من الشهر وليلة الثامن عشر من الشهر نفسه:

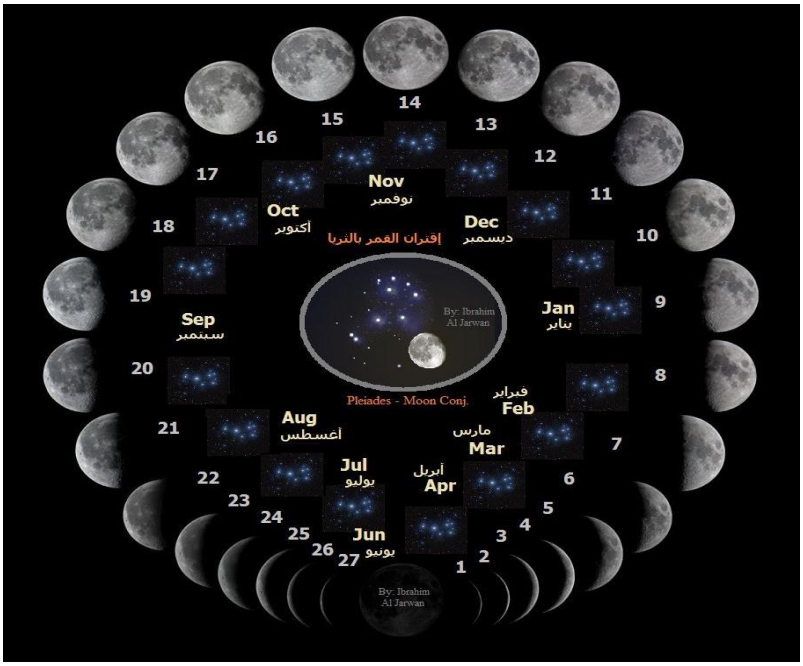

مصدر الصورة على الرابط الآتي:

V.jpg3MEKXEAkyc8https://pbs.twimg.com/media/EtO

المبحث الثاني

علاقة الحادثة ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام

المطلب الأول: سبب نزول الآيات

تؤكد بعض كتب التفسير والتاريخ أن سبب النزول هو التساؤلات الثلاثة التي أخبر بها اليهود أهل قريش عندما ذهبوا ليبحثوا هل يجدون شيئًا في كتبهم عن هذا الرسول الجديد، فكان ما كان من أخبارهم بتلك الأسئلة، وفي ذلك يقول ابن عاشور: إن سبب النزول ذكره كثير من المفسرين وبسطه ابن إسحاق في سيرته بدون سند[1]، وأسنده الطبري إلى ابن عباس بسند فيه رجل مجهول، وفيه أن النضر وعقبة قدما إلى المدينة ووصفا لليهود دعوة النبي –عليه الصلاة والسلام–وأخبرا ببعض قوله، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث؟ فإن أخبركم بهن فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ما هي..."[2].

وحول سبب النزول يشير ابن عاشور بطريقة غير مباشرة إلى أن العلم بأصحاب الكهف أمارة على نبوة محمد، لأن سبب النزول متصل باليهود، وهنا يستبعد ابن عاشور أن يكون أهل الكهف من أهل الدين المسيحي، وذلك لأن اليهود يتجافون عن ذكر كل خبر فيه ذكر للمسيحية، وإنه يحتمل أن بعض اليهود آووا إلى بعض الكهوف في الاضطهادات التي أصابت اليهود وكانوا يأوون إلى الكهوف، ويجوز أن يكون لأهل كلتا الملتين اليهودية والنصرانية خبر عن قوم من صالحيهم عرفوا بأهل الكهف[3].

وبغض النظر عن مصدر القوم الذين لقنوا قريشًا هذه الأسئلة، فإن الذي يعنينا في هذه الجزئية بالتحديد هو الغرض من هذه الأسئلة، فإنه ليس من الممكن أن يكون الغرض منها فقط هو التأكد من صدق نبوة الرسول –عليه السلام– فمن المحتمل أن يكون لها

(1) ابن عاشور، 243/15.

(2) ابن إسحاق، محمد: سيرة ابن إسحاق، السير والمغازي202/4.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، 264/4.

علاقة ببعثة الرسول –عليه الصلاة والسلام– ذاتها وعلامة على زمنها، ويؤيد ذلك انتظار أهل الكتاب سواء اليهود أو النصارى لنبي آخر الزمان، فيهود المدينة كانوا في فترة بعثة النبي –عليه السلام– يلوحون لأهل المدينة أن ذلك الزمن كان زمن نبي مرتقب، وقد أورد ابن إسحاق في سيرته أن اليهود كانوا إذا بلغهم ما يكرهون من العرب قالوا: إن نبيا مبعوثًا الآن قد اظل زمانه نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به، ففينا –والله– وفيهم أنزل الله –عز وجل–: "وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ"، وروى عن حسان بن ثابت قال إنه وهو غلام سمع يهوديًا وهو على أطمه بيثرب يصرخ: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة[1]. وفي هذا علاقة بقوله تعالى" لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا "، والحزبان حسبما تبين سابقًا وكما ذكر المجذوب هما اليهود والنصارى.

ومن خلال ما تقدم حول الحكمة من الحادثة التي ذكرناها في الجزئية السابقة والتي منها أنها قد تكون إعلام لحدث مستقبلي وذلك من خلال قوله تعالى عند الحكمة من الاعثار عليهم" لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا "، وبالتالي فإنه بإمكاننا القول إن قوم الفتية الذين عثروا عليهم أصبحوا يؤرخون بهم حتى مبعث الرسول –عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: معنى الروح

لقد كان السؤال عن الروح من جملة أسئلة قريش الثلاثة للرسول –صلى الله عليه وسلم–ولأنها مقترنة مع خبر فتية أهل الكهف، فإن ذلك يجعلنا ننظر في سبب ذلك، وربطه بسؤال الرسول عنها، وتختلف الأقوال في بيان معناها الحقيقي، وسوف نتطرق إلى مناقشة الأقوال التي من الممكن أن تساعد في تدعيم فرضية الدراسة في هذا المبحث وهي إمكانية وجود علاقة بين حادثة أصحاب الكهف وبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ففي تفسير سورة الإسراء لابن عاشور للآية 85 عن الروح، يقول: إن السائلين عنها

(1) – ابن إسحاق، 84/4.

هم قريش، وقد روى الترمذي في ذلك عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل عنه، فقالوا سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله تعالى الآية: " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "[1].

وهناك إشكالية تحدث عنها المفسرون في الإجابة عن السؤال الثالث، هي أن الإجابة عن الروح جاءت منفصلة في سورة الإسراء، مع أن ترتيب نزول السورة كان قبل سورة الكهف، وما يدفع ذلك الإشكال كما ذكر ابن عاشور شيئان: الأول: أنه يجوز أن يكون السؤال عن الروح وقع منفردًا أول مرة ثم جُمع مع المسألتين الأخريين مرة أخرى، ويجوز أن تكون آية سؤال الروح مما أُلحق بسورة الإسراء كما تم في سورة الكهف، فالجمهور مجمعون على أنها نزلت بمكة[2]. وذكر في ذلك ثلاثة أقوال في تفسير الروح على النحو الآتي[3].

القول الأول: هي الروح التي في الجسد، وهو يرجح هذا القول، ويعلل ذلك بأن هذا وارد في التوراة في سفر التكوين.

وأعتقد أن حُجة ابن عاشور هنا ضعيفة بعض الشيء؛ لأنه من المفترض أن نستدل بمعناها في القرآن أولى من معناها في التوراة، فالقرآن يبين في عدة مواضع أن الروح هو القرآن أو جبريل، وهو ما سيتبين لنا في هذا المطلب.

القول الثاني: يقصد بها جبريل عليه السلام.

القول الثالث: أن الروح يُقصد بها القرآن فقد ذكر الترمذي أن اليهود قالوا " أوتينا علمًا كثيرًا، التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرًا كثيرا، فنزلت الآية: قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي...." وفي هذا تأكيد على أن هناك ترابطًا بين معنى الروح وقوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وبين هذه الآية التي في أواخر سورة الكهف.

وذكر الزمخشري في تفسير سورة الإسراء أنه قيل: "إنها الروح التي في الحيوان، وقيل

(1) ابن عاشور، 194/15.

(2) ابن عاشور، ص197.

(3) ابن عاشور، ص197.

جبريل –عليه السلام –وقيل: القرآن[1]. وقال القرطبي بعد ذكر الاختلافات في ذلك: "قيل هو جبريل وقال: إن قتادة قال: وكان ابن عباس يكتمه، وقيل: هو عيسى، وقيل: القرآن"[2].

وفي موضع آخر يؤكد القرطبي على أن المقصود بها القرآن وذلك في تفسير الآية " وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ" يقول: "يعني القرآن"، ويقول: إن هذا يتصل بقوله: "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"[3]. وفي تفسيره للآية 52 من سورة الشورى يذكر القرطبي عدة أقوال مختلفة في ذلك، ومن ضمنها قول الضحاك :"هو القرآن، وهو قول مالك بن دينار، وسماه روحًا؛ لأن فيه حياة من موت الجهل"، ويكمل القرطبي بعد ذكر الاختلافات ويقول:" ويمكن أن يحمل قوله" وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ" في سورة الإسراء على القرآن أيضا" قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى"، حيث أنه في آية سورة الشورى قال أيضًا " رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا" وجعله من أمره بمعنى أنزله كما شاء على من يشاء، وقوله: يسألونك في سورة الإسراء؛ أي: يسألونك من أين لك هذا القرآن، فقل: إنه من أمر الله أنزله علي معجزا"، ويكمل في ذلك "أن القشيري ذكر ذلك"[4].

ومن خلال ما تقدم فإننا نميل في هذه الدراسة إلى تلك الأقوال التي تشير إلى أنه يقصد بها القرآن، ومما يؤكد لنا ذلك هو أن الآية اختُتمت بقوله"وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "، وفي آخر السورة وعلى المنوال نفسه تُختتم السورة بقوله " قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا"، ومن المعلوم أن القرآن والتوراة هما من كلام الله، ومهما أوتي اليهود من علم في التوراة فإنه يعتبر علم قليل، وأن علم الله واسع وكلماته لا تنفد.

ولذلك فما دامت هناك إمكانية لتفسير الروح على أنها القرآن، فإنه من الممكن أن

(1) الزمخشري، 960/2.
(2) القرطبي، ص323.
(3) القرطبي، 325/16.
(4) القرطبي، 55/16.

يكون هناك إمكانية لوجود علاقة بين حادثة الكهف وبعثة النبي، حيث أن السؤال عن الروح ترافق مع السؤال عن الحادثة، وحيث أن بعثة النبي عليه السلام تتحدد بنزول القرآن عليه.

المطلب الثالث: معنى الرقيم

ذكر الرقيم في قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا"[1]. ومعنى الرقيم والكهف مختلف فيه بين المفسرين، وجملة تلك الاختلافات تندرج ضمن معنيين: الأول يرتبط بمكان الكهف، والثاني من الرقم أو الكتابة، وذلك من قوله تعالى: "كِتَابٌ مَّرْقُومٌ"[2]، ومن ضمن الذين يقولون بهذا القول الأخير هم الذين يقولون بوجود شيء مكتوب قريب من كهفهم سواء على لوح أو ما شابه ذلك، والباحث يميل إلى قول من فسره على أنه من الرقم أو الكتابة، لكن بطريقة أخرى غير تلك الطريقة التي رواها أصحاب هذا الرأي، بحيث يتناسب ما نميل إليه مع تفاصيل الحادثة بجميع أطرافها كما نتعامل معها من بداية هذه الدراسة وبما يتفق مع المعطيات التاريخية.

ومن الأقوال التي تفسر معنى الرقيم بغير المكان ما يلي: ذكر ابن كثير في تفسيره عن الرقيم الاختلافات في ذلك، وذكر منها أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: "وفي تفسير مرقوم، كما يقال للمقتول قتيل، وللمجروح جريح"[3]. ويقول الشنقيطي بعد أن ذكر الاختلافات في ذلك:" وأظهر الأقوال عندي بحسب اللغة العربية وبعض آيات القرآن :أن الرقيم معناه: المرقوم، فهو فعيل بمعنى مفعول، من رقمت الكتاب إذا كتبته، ومنه قوله تعالى : كِتَابٌ مَرْقُوم" ويستمر في كلامه ويقول "وسواء قلنا :إن الرقيم كتاب كان عندهم فيه شرعهم الذي تمسكوا به، أو لوح من ذهب كتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصتهم وسبب خروجهم، أو صخرة نقشت فيها أسماؤهم. والعلم عند الله تعالى"[4].

(1) الكهف، الآية: 9.

(2) المطففين، الآية: 9.

(3) ابن كثير، 126/5.

(4) الشنقيطي، محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 26/4.

ويروي القرطبي عن ابن عطية قوله: "إنه يظهر من الاختلاف في تلك الروايات أنهم كانوا قومًا مؤرخين للحوادث، وأن تلك الأقوال مأخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم، ويروي عن ابن عباس أيضا أن الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم في الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى -عليه السلام-"[1]. وفي تفسيره للمقصود بالحزبين يقول القرطبي: "أن الظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية إذ ظنوا لبثهم قليلًا، والحزب الثاني أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عندهم التاريخ لأمر الفتية، وهذا قول الجمهور من المفسرين"[2].

ويمكن الاعتماد على تلك الأقوال في تأكيد وجهة النظر التي تقدمها الدارسة على أن الرقيم شيء والكهف شيء آخر وأن معنى الرقيم مرتبط بالزمان أكثر مما هو مرتبط بالمكان.

وبالنظر إلى الأقوال بكاملها عن الرقيم بشيء من التمحيص والدقة نجد أن أغلبها تتعامل مع المعنى على ارتباطه بالمكان، سواء الجبل الذي فيه الكهف، أو المنطقة القريبة منه، أو ما إلى ذلك. وفي هذه الدراسة سنتعامل مع المعنى كمدلول مرتبط بالزمان وليس المكان، وذلك لأن القصة القرآنية تتعاطى مع زمان الحادثة أكثر من مكانها، وهي تقدم لنا دائمًا على أن هناك حزبين مختلفين واختلافهم ذلك يتعلق بشيء يخص الزمان وليس المكان.

وهناك عدة كلمات دالة في الآيات على الزمان وليس على المكان والتي تؤيد رؤيتنا في ذلك، من هذه الكلمات: كلمة" أحصى"، وكلمة "عددًا"، وكلمة "لبثوا"، وكلمة "أمدا"، كذلك ذكر مدة اللبث، وتلك كلها مدلولات زمنية. فالإحصاء كعملية ترتبط بالأمد والعدد واللبث، وكل ذلك يدلنا على أن هناك دقة في حساب وإحصاء مدة زمنية معينة منذ وقت محدد في الماضي وإلى ذلك الوقت الذي ارتبط مع زمن بعثة الفتية.

وعند ربط ذلك الانقسام بين الفريقين والاختلاف فيما بينهم حول الإحصاء مع ذكر كلمة الكهف والرقيم في بداية الآيات " أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ

(1) القرطبي، 10/ 357.

(2) القرطبي، 364/10.

آيَاتِنَا عَجَبًا"، فإنه يمكننا أن نؤكد أن أصحاب الكهف حزب وأصحاب الرقيم حزب آخر، ومادام الاختلاف هو اختلاف عن الزمان أكثر مما هو عن المكان، فذلك يجعلنا نفترض أيضًا أن الرقيم معناه شيء يُستخدم لإحصاء وحساب الزمن بطريقة رقمية، وأقرب شيء لذلك هو أن يكون معناه "التقويم" أو التاريخ الذي يؤرخ به أهل ذلك الزمان.

وبالرجوع إلى التاريخ ومعطياته وتحديدًا بين فترة عيسى ومحمد -عليهما السلام-والتي تكون وقعت فيها الحادثة، فإننا نستطيع القول: إن وجهة نظرنا التي تفيد بأن معنى الرقيم هو التقويم تكون أقرب للصواب، وبشكل أكثر تحديدًا وبما يتسق تمامًا مع المعطى التاريخي والتناول القرآني للحادثة فإنه يقصد به التقويم الشمسي، والذي يتم تسجيل الأيام فيه وشهور السنة بطريقة رقمية وليس اعتمادًا على أي دورةٍ فلكية سواء للقمر أو الشمس.

وعليه فإن أصحاب الكهف هم حزب من قوم الفتية كانوا يؤرخون بالتقويم القمري ويتمسكون به، بينما أصحاب الرقيم هم الحزب الآخر ويؤرخون بالتقويم الشمسي، وهذا هو سبب الاختلاف فيما بينهم وانقسامهم إلى فريقين في العد والإحصاء. ولا يعني كلامنا هذا أنه من غير الممكن أن يكون معنى الكهف أو الرقيم له ارتباط بالمكان، بل من المحتمل أن يكونا بلدتين مرتبطتين بذلك المعنى، وكل بلدة تعتمد تقويمًا مختلفًا، فأصحاب الكهف يعتمدون التقويم القمري، وأصحاب الرقيم يعتمدون التقويم الشمسي.

وبمزيد من التفصيل فإنه ومن خلال مراجعة التاريخ بعد زمن المسيح -عليه السلام- فإننا نجد بالفعل أنه كان هناك اختلاف بين أصحاب الملة المسيحية، الموحدين والمؤمنين بالثالوث، أو من الممكن القول بشكل أوسع بين اليهود والنصارى، فاليهود إلى فترة من الفترات كانوا يؤرخون بالتقويم القمري[1]. ومتمسكون به، وتبعهم في ذلك الموحدون من النصارى، بينما البقية من المسيحيين وخصوصًا المؤمنين بالثالوث اعتمدوا التقويم الشمسي وكان ذلك تماشيًا وخضوعًا لسلطة الدولة الرومانية، وعلى غرار ذلك كانت عباداتهم وأعيادهم، مما كان سبب اختلافهم المباشر والرئيس في مواقيت الأعياد والاحتفالات حتى

(1) - المجذوب، ص139.

يومنا هذا بين مختلف الكنائس المسيحية[1].

وبالنظر إلى تاريخ الكنيسة والتقويم الذي يتعلق بالأعياد وأوقات الصيام نجد أن هناك اختلافا كثيرا في ذلك وخصوصًا حول تحديد عيد الفصح، لكنه تقرر بعد مجمع نيقيه أن تكون مهمة تعيين عيد الفصح لأساقفة الإسكندرية، وظلوا يعينونه لجميع الكنائس المسيحية قرونا طويلة، وذلك بإرسال رسالة في كل عيد فصح يرسلونها لجميع الكنائس المسيحية، وذلك في اليوم الذي يقع فيه عيد القيامة من كل سنة، وكان يحدد ذلك بحساب فلكي دقيق يقوم به بطريرك الكنسية القبطية المصرية، وهذا معمول به حتى الآن[2].

ومن الممكن القول: إن فتية أهل الكهف كانوا منقسمين بينهم في ذلك أيضًا، وكان الاهتداء في تصحيح ذلك واتباع التقويم القمري في عد الشهور من الهدى الذي زادهم الله بعد اللجوء إلى الكهف ولبثهم فيه، وبرقودهم تلك الفترة التي حددناها سابقًا عرفوا بشكل أكثر دقة وتفصيلًا البداية الحقيقية للتقويم منذ ميلاد المسيح وبعثته ووفاته والزمن الذي هم فيه يوم بعثتهم.

والظاهر أنهم كانوا يستخدمون الكهوف التي كانت منتشرة في تلك الفترة في تحديد المواقيت ومراقبة دخول الشهر ونهايته، وذلك من خلال ما قدمناه سابقًا حول تحديد مدة اللبث والوصف القرآني الدقيق في وصف الاختلاف بين الفتية وقت اللبث، والدلائل الفلكية التي ذكرناها في تأييد ذلك، حيث أن ظاهرة الكهوف كانت منتشرة في ذلك الوقت، على سبيل المثال ما تم اكتشافه من كهوف قمران[3].

الخلاصة:

من خلال ما تقدم حول الحكمة من الحادثة بكاملها والتي من ضمنها أنها قد تكون أمارة لحدث مستقبلي وذلك من خلال قوله تعالى" وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ

(1) المجذوب، ص140.

(2) يوحنا، القس منسي: تاريخ الكنيسة القبطية، ص57.

(3) المجذوب، ص139.

حَقٌّ وَأَنَّ السَّـــاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ"[1]. يتبين من ذلك أن من الحكمة في العثور عليهم هي أن يعلم الناس الذين عثروا عليهم أن وعد الله حق وأن الســـاعة لاريب فيها. ووعد الله هنا يدل على أنه من الممكن أن هناك نبوءة في التوراة أو الإنجيل وهم منذ زمنها يحصـون لها ويؤرخون بها، ولعل هذه النبوءة هي بعثة نبي آخر الزمان الذي بشـر الله به في التوراة والانجيل: " وَمُبَشِّـرًا بِرَسُـولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ"[2]، وقد ذكر العقاد في كتابه حياة المسيح أن قوم طائفة النذيريين اليهودية كانوا يتنظرون بعثة المسيح الموعود على رأس كل ألف سنة، وقدروا أن القيامة تقوم بعد سبعة الآف سنة منذ بدء الخليقة[3]. ويقول المجذوب في كتابه أن اليهود ظلوا يترقبون ظهور المسيح إلى ما بعد ميلاد عيسى بمائتي سنة[4].

وبذلك يتبين لنا أن النصارى وكل من آمن بالمسيح كانوا يترقبون هذا النبي الموعود به، ويحصـون بذلك الأيام والسـنين لبعثته. وعلى ما يبدو ومن خلال حادثة الكهف وكما تقدم أنهم لم يعودوا قادرين على ضـــبط ذلك الإحصـــاء، فكان من حكمة هذه الحادثة أن يعلم المهتدون منهم بمدة لبثهم الحقيقية منذ زمن تلك النبوءة، فجاءت هذه الحادثة تأييدًا من الله لهم وتأكيدًا على أن بعثة الرسول عليه السلام التي وعدهم بها لابد من تحققها.

وبإضـــافة الحكمة من وقوع الحادثة ومدة رقود الفتية ثم الحكمة من العثور عليهم إلى الحكمة من سـبب نزول الآيات وتسـاؤلات اليهود عنهم، فإن ذلك يرجح أن الحادثة كانت مرتبطة بالبشـارة ببعثة النبي –عليه الصلاة والسلام–وبوقوع الحادثة تم تحديد المدة الصـحيحة إلى يوم بعثته، فأصبحوا يؤرخون بزمن الحادثة ويحصـون تلك المدة التي من خلالها تم إعلامهم بها.

ومن تفسـيرات الروح التي تعني أنها القرآن الكريم فإن ذلك يؤكد لنا أيضـا بدرجة كبيرة

(1) – الكهف، الآية:21.

(2) – الصف، الآية:

(3) – العقاد، ص47.

(4) – المجذوب، ص123.

أن الحادثة لها علاقة زمنية بالبعثة، فمن خلال قراءة سيرة الرسول -عليه السلام- نجد أن أول يوم في بعثته هو أول يوم نزل فيه القرآن الكريم " وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا " [الشورى: 52]وقوله: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " [القدر: 1]، وقوله: " تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ" [القدر: 4]، وهذا ما يتفق عليه أكثر العلماء، ويختلفون في تحديد اسم الشهر والليلة الأولى التي نزل فيها القرآن الكريم، ويذكر المباركفوري تلك الاختلافات ثم يحدد في كتابه الرحيق المختوم يوم نزول الوحي على أنه كان في ليلة القدر، لكنه يحدد ذلك على أنها كانت في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان، الموافق 10 أغسطس، سنة 610 ميلادية[1].

(1) المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، ص56.

المبحث الثالث

الزمن الحقيقي لحادثة أصحاب الكهف

مما سبق يتضح أنه من الممكن جدًا ومن الأولى أن حادثة الكهف والأسئلة الثلاثة كانت علامة لزمان بعثة النبي –عليه الصلاة والسلام– قبل أن تكون علامات لصدق نبوته. ومن الممكن وضع افتراض زمني مفاده أن المدة 309 سنين والتي أشارت إليها الآيات إنما هي المدة من زمن الحادثة إلى زمن بعثة النبي عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول: الإشارة إلى ذلك في كتب التفسير

ذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا" [الكهف: 25]، أن هناك قراءة لابن مسعود تفيد أن هذا القول هو قول من كانوا يتساءلون عنهم أنهم لبثوا هذه المدة إلى وقت نزول الآيات فيقول:" وأما الذي ذُكر عن ابن مسعود أنه قرأ (وَقَالُوا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ) وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب، وقد ردّ الله ذلك عليهم، فإن معناه في ذلك: إن شاء الله كان أن أهل الكتاب قالوا فيما ذُكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاثمائة سنين وتسع سنين"[1]. والطبري بذكره لهذه الرواية لا يؤيد ذلك، إنما ذكرها واعترض عليها بكلام مُثبتًا فيه أن ذلك خبر من الله وليس خبر أهل الكتاب، لكن هذه الرواية تستحق أن يُنظر إليها ويمكن الاستناد عليها من زاوية تاريخية لكونها تتوافق مع فرضيات هذه الدراسة.

وفي تفسير ابن كثير –أيضًا– نسبة هذا القول لأهل الكتاب، إذ يقول: "قال قتادة في قوله: (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) هذا قول أهل الكتاب، وقد رده الله تعالى بقوله: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) قال: وفي قراءة عبد الله: " وقالوا: ولبثوا "، يعني أنه قاله الناس" ويواصل ابن كثير حديثه ويقول: "وهكذا قال –كما قال قتادة –مطرف بن عبد الله"[2].

(1) الطبري، 25/17.

(2) ابن كثير، ص296.

وفي كتاب ابن عاشور ذكر أن السهيلي ذكر في كتاب الروض الأنف: أن أصحاب الكهف من أمة عجمية، والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به[1]. وذكر أيضًا قصة معاوية التي وردت في تفسير الألوسي وذلك في رواية أبي شيبة عن غزوة معاوية نحو الروم ومروره بالكهف، فإذا فيه عظام، فقال رجل هذه عظام أهل الكهف، فقال ابن عباس: لقد ذهب عظامهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة"[2].

وحول المدة في تفسير الآية 25 يقول القرطبي نقلًا عن الطبري: "إن بني إسرائيل اختلفوا فيما مضى بهم من المدة بعد الإعثار عليهم إلى مدة النبي –عليه الصلاة والسلام– فقال بعضهم: لبثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فأخبر الله تعالى نبيه أن هذه المدة في كونهم نيامًا، وأن ما بعد ذلك مجهول للبشر، فأمر الله تعالى أن يرد علم ذلك إليه، يقول وقال ابن عطية: فقوله على هذا لبثوا الأول يريد في نوم الكهف، ولبثوا الثاني يريد بعد الإعثار إلى مدة محمد –عليه الصلاة والسلام–، ويقول مجاهد إلى وقت نزول القرآن، والضحاك إلى أن ماتوا ويقول كذلك في قوله تعالى: " قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا" قيل بعد موتهم إلى أن نزل القرآن فيهم على قول مجاهد، أو إلى أن ماتوا على قول الضحاك"[3].

خلاصة القول: أنه يُستفاد من تلك الروايات في كتب التفسير على أن مدة ال (309) سنين التي يتم تداولها في كتب التفسير والتاريخ هي المدة من زمنهم، حتى بعثة الرسول، وليست مدة لبث فتية أصحاب الكهف في كهفهم منذ أن ضرب الله على آذانهم، وقد تبين لنا في المطلب الأول من هذه الدراسة مقدار تلك المدة. وسيتم التأكيد على ذلك بشكل أوسع عند مناقشة علاقتهم بالأريسية وتاريخ الشهداء القبطي.

المطلب الثاني: علاقتهم بالأريسية ومجمع نيقيه

الأريسية كما تعرفها موسوعة أكسفورد هي" البدعة الرئيسية التي تنكر المسيح، وسميت

(1) – ابن عاشور، 15/ 265.

(2) – ابن عاشور، 263/15.

(3) – القرطبي، 387.

على اسم مبتدعها أريوس، وتدعي أن ابن الله ليس خالدا وإنما هو مخلوق من عدم بواسطة الأب كما خلق العالم، وعلى ذلك فإن المسيح ليس مماثلًا ولا شريكًا في الأزلية مع الخالق وليس من نفس المادة، وقد أدينت تلك البدعة في مجمع نيقيه عام 325 للميلاد"[1].

والأريسيون، كما جاء في قاموس الكتاب المقدس: هم أتباع أريوس، الذي نادى بأن الآب وحده أزلي، بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة"[2].

ويقول عنها ابن تيمية:" ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفًا منهم يعرفون بالأريسية يجردون توحيد الله ويعترفون بعبودية المسيح، ولا يقولون فيه شيئًا مما يقوله النصارى من ربوبية ولا بنوة خاصة، ولا غيرهما، وهم متمسكون بإنجيل المسيح، مقرون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه، فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق، مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد ودفع ما جاء به من الكتاب والسنة"[3].

وبذلك فإن أريوس هو" الذي نادى بأن الآب وحده أزلي، بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليقة"[4]. وهو قس مسيحي بالإسكندرية ولد عام 250م في ليبيا ومات بالقسطنطينية (إسطنبول حاليًا) عام 336م، وكانت تعاليمه هي بداية العقيدة المسماة بالأريسية والتي أكدت على الطبيعة المحدودة للمسيح بأنه مخلوق، وقد أدانت الكنيسة تلك العقيدة واعتبرتها بدعة كبيرة"[5].

علاقة فتية الكهف بأريوس والعقيدة الأريسية ومجمع نيقيه

ذكر الطبري قصتهم في رواية طويلة يذكر فيها شخص اسمه أريوس، كان هذا الشخص

(1) سليمان، فاضل: أقباط مسلون قبل محمد، ص47.
(2) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ص162.
(3) ابن تيمية، 91/4.
(4) قاموس الكتاب المقدس، ص162.
(5) سليمان، ص50.

ومعه آخر اسمه أسطيوس رجلين صالحين هما أول الناس الذين عرفوا خبر الفتية[1]. ومهما يكن من صحة هذه الرواية التي رواها الطبري وتضارب كثير من تفاصيلها مع معطيات التاريخ وتشابهها مع الرواية المسيحية إلا أن ذكر شخص مهم في الحادثة اسمه أريوس يُعد هذا الشيء مهم جدًا في هذه الدراسة، إذ أن هذا يشير إلى أن لهم علاقة بأريوس الذي تُنسب إليه الأريسية، وأعتقد أنه ليس من قبيل الصدفة ذكر هذا الشخص في هذه الرواية.

ومن خلال ما تقدم وبعد التأكد من الارتباط الفكري والعقدي بين عقيدة فتية الكهف وعقيدة أريوس واتباعه، يمكننا القول: إن هناك ارتباطًا وثيقًا زمنيًّا ومكانيًّا بين أصحاب الكهف والأريسيين عمومًا وأريوس على سبيل التحديد، ويمكن تأكيد ذلك من خلال النقاط الآتية:

- مما تقدم يتبين أن كل عقائد الأريسيين هي نفس عقيدة أصحاب الكهف كما وردت في الآيات وليس في الروايات الإسرائيلية.
- الحرمان والمجمعات التي صدرت بحق أريوس والموحدين بشكل عام تتناسب مع الاعتزال والحرمان الذي تعرض له فتية الكهف من قومهم.
- في عام 275م كان عمر أريوس 25 عامًا وذلك يتفق تمامًا مع عمر الفتية الذين من أهل الكهف، حيث إن أعمارهم من الممكن أنها تتراوح ما بين ال 25 وال 34، وذلك من خلال وصفهم بالفتوة، والأقرب لذلك أنهم كانوا في عمر ال 25، لأن هذا العمر أقرب للفتوة من العمر 34، وهذا العمر مساويًا لفترة الثلاثمائة شهر التي ذكرت في الآية.

ومن المحتمل أن هذا هو العام الفعلي الذي كان فيه اعتزال أصحاب الكهف لقومهم وبداية الحادثة، وسوف نتأكد من ذلك في الجزئيات الأخيرة من الدراسة.

- عند مراجعة التاريخ الكنسي والمسيحي نلاحظ أن أريوس لا يوجد على مشهد الأحداث في تلك الفترة وثاني ظهور له كان بعدما تولى قسطنطين العظيم وصار

(1) الطبري، 630/17.

حاكما فعليًا للإمبراطورية الرومانية، وتحديدًا عام 312.

- في قوله تعالى: (يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ) لو أن الذي كان يقول ذلك القول هو واحد من غير الفتية فإن ذلك يؤكد على أنهم بعثوا في زمن لاتزال ملة التثليث هي السائدة والفئة الغالبة دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا، بحيث مازالت فيه أي دعوى للتوحيد تتعرض لاضطهاد والطرد والحرمان، وعند إضافة الفترة التي ذكرناها سابقًا والتي تقارب 34 عامًا من عام 275م، والذي يُفترض لحد الآن على أنه الزمن الفعلي لدخول الفتية إلى الكهف أو الضرب على آذانهم، فإن ذلك يتوافق مع سنوات تولي قسطنطين واعتماده للديانة المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية، والتي كان في بداياتها ما يزال المعتقدون بالثالوث هم المسيطرون والغالبون، ويبدو أنهم بدأوا بإخفاء أمرهم في السنوات الأولى، وبدأت دعوتهم وتحركاتهم بشكل سري وفردي، وعندما بدأت عقيدتهم بالظهور والانتشار استدعى ذلك آباء ورجالات الكنيسة إلى عقد مجمع نيقيه.

من خلال النظر إلى سبب اعتزال الفتية لقومهم وكما ذكرنا سابقًا أن خروجهم كان خروج عن ملة التثليث التي وقع فيها النصارى بعد عيسى عليه السلام، ومقارنة ذلك وربطه مع العقيدة الأريسية فإنه يتبين أن الدعوة للتوحيد بشكل عام ونفي اتخاذ شريك مع الله هي القاسم المشترك بينهم، وبشكل أخص وأكثر تحديدًا فإن القاسم المشترك بينهم هو نفي أن يكون عيسى ولدًا لله وأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

يمكننا القول إنه ليس من الواجب الاعتقاد أن الفتية لمجرد بعثتهم ماتوا بعد ذلك مباشرة وأن الإعثار عليهم حدث وهم قد أصبحوا في عداد الموتى، إنما الاعتقاد بذلك أساسًا مصدره التأثر بالرواية المسيحية التي كان لها تأثير كبير ومباشر على أقوال المفسرين في جميع تفاصيل الحادثة.

- بالرجوع إلى المعطيات التاريخية والنظر فيها، ثم ربط ذلك مع ما يتوافق مع تفاصيل الحادثة نجد أن هذا المجمع يعد أول مجمع مسكوني بذلك الحجم والقوة، وذلك بسبب ما أحدثته دعوة التوحيد الأريسية من خطر على الكنيسة ورجالاتها وعلى عقيدة

التثليث بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الكنسية، فقد أصبح لدى الموحدين الأريسيين نقاط قوة من الممكن أن تهدد معتقداتهم الشركية من الأساس. وبذلك كانت حادثة فتية الكهف هي القوة الفعلية التي جعلت لهذا المجمع تلك الأهمية الكبرى في تاريخ الكنيسة بكامله.

وبذلك يمكننا القول: إن دعوتهم هي نفس دعوة الأريسية التي ظهرت في وسط الفترة بين محمد وعيسى -عليهما السلام-أي: في أواخر القرن الثالث الميلادي وبداية القرن الرابع.

وبأكثر تفصيلًا وبالرجوع إلى التاريخ أيضًا، والتدقيق في التغير الجوهري والمنعطف الحاد الذي دخلت فيه عقيدة التوحيد في ذلك الوقت، يمكن لنا أن نتساءل ما هو السبب في ذلك التغير المفاجئ والهائل، إذ ليس من الممكن أن تكون جهود أريوس وأتباعه لها ذلك القدر من القوة؛ ولا بد أن يكون لهم قوة يستندون عليها، وبسببها يقتنع الإمبراطور بعقيدتهم ودعواهم، وغالبًا السلاطين والملوك ليس من السهولة أن يقتنعوا بدعوة تغير أفكارهم وعقيدتهم إلا إذا كانت مستندة على معجزة خارقة للعادة وخارجة عن نطاق المألوف، فكانت حادثة فتية الكهف، التي كانت بمثابة معجزة جعلت ما بعد الحادثة ليس كما قبلها في تاريخ المسيحية. ومن المحتمل أنها هي السبب أو المعجزة التي جعلت قسطنطين يعتنق الديانة المسيحية من الأساس، وهذا بحاجة لمزيد من التدقيق.

المطلب الثالث: علاقة أصحاب الكهف بمصر وبتقويم الشهداء القبطي

أولًا: علاقتهم بمصر وتحديدًا مدينة الإسكندرية، فمن خلال المعطيات التاريخية يبدو أن لفتية أصحاب الكهف وللحادثة بكاملها علاقة بمصر وخصوصًا مدينة الإسكندرية وذلك للمعطيات الآتية:

- يرجح ابن عاشور في تفسيره أن الذين لقنوا قريشا السؤال عن أهل الكهف هم بعض النصارى الذين لهم صلة بأهل مكة من التجار الواردين إلى مكة أو من الرهبان الذين في الأديرة الواقعة في طريق رحلة قريش من مكة إلى الشام[1].

(1) ابن عاشور، 259.

- حول سبب نزول الآيات الواردة للقصة في سورة الكهف كل الروايات في ذلك تعتمد على رواية ابن إسحاق، وحول تلك الرواية ذكر السيوطي في كتابه لباب النقول أن ابن إسحاق رواها عن شيخ من أهل مصر(1).
- من معنى كلمة الرقيم كما تقدم أن معناه يُقصد به التقويم وبربط ذلك مع الاعتماد الرسمي من الدولة الرومانية على تقويم الكنيسة القبطية المتواجدة بمدينة الإسكندرية فإن أصحاب الرقيم يمكننا القول بأنهم أصحاب التقويم القبطي أو الأقباط المصريون وتحديدًا التابعين للكنيسة القبطية المتواجدين في مدينة الإسكندرية.(2)
- من خلال ملاحظة وجود علاقة وثيقة بين أصحاب الكهف في العقيدة وفي الزمان مع الأريسيين، فإنه من الممكن القول إن لهم علاقة مكانية أيضًا، بحيث أن فتية الكهف هم من أصحاب أريوس الذين كانوا تابعين لإحدى الكنائس المصرية في مدينة الإسكندرية.
- من خلال أعمار الفتية التي تقترحها هذه الدراسة وعلاقة ذلك بعمر وحياة أريوس فإنه يمكننا القول إن الفتية كانوا في مرتبة كنسية واحدة، والأقرب لذلك أنهم كانوا شمامسة في الكنيسة التي كان فيها أريوس، أو في كنائس تابعة لنفس مدينة الإسكندرية.
- مما تقدم واتضح أن المسيحيين كانوا يؤرخون بحادثة أصحاب الكهف، فإنه وحتى اليوم نجد أن الكنيسة القبطية تعتمد على التقويم القبطي الذي يعود إلى زمن الحادثة، ويسمى هذا التقويم بتقويم الشهداء، ولعل الشهداء يُقصد بهم أساسًا فتية أصحاب الكهف، حيث سنبين ذلك في الجزئية التالية.

مما تقدم يمكننا القول إن فتية الكهف هم فتية أقباط كانوا على دين المسيح عليه السلام، وكانوا تابعين لإحدى كنائس الإسكندرية التي كانت تؤمن بألوهية عيسى وأنه ابن الله، ولذلك فهم خرجوا من الإسكندرية واعتزلوا قومهم واعتنقوا عقيدة التوحيد، وهذا يتوافق مع عقيدة الأريسيين الذين ابتدأ فكرهم من مدينة الإسكندرية.

(1) السيوطي، ص129.
(2) يوحنا، ص57.

ثانيًا: علاقتهم بتقويم الشهداء القبطي، تتحدد بأن تقويم الشهداء القبطي هو تقويم تعمل به الكنسية القبطية منذ عام 284 للميلاد وحتى اليوم، حيث يبدأ بأول يوم من شهر توت، وهي السنة الأولى قبطية للشهداء، وهذا التاريخ هو تاريخ جلوس الإمبراطور الروماني دقلديانوس على عرش روما، حيث ارتكب مذابح وحشية ضد المسيحيين المصريين استشهد من خلالها أكثر من مليون قبطي مسيحي، وتم العمل بذلك لتخليد ذكرى هؤلاء الشهداء، ثم أطلق الأقباط عليه تقويم الشهداء، ومع التغيير الذي حدث للتقويم الميلادي اليولياني في عهد غريغور عام 1582م تم كذلك تعديل التقويم القبطي، وأصبحت السنة القبطية تبدأ يوم 11 سبتمبر[1]، ومن تلك السنة وحتى يومنا هذا فإن الكنيسة القبطية تعمل بهذا التاريخ لكن على نجم الشعرى اليمانية وليس على دوران الشمس. وحول هذا التقويم ونسبته إلى دقلديانوس لنا عدة ملاحظات، منها ما يأتي:

- الغرابة في هذا التقويم والتساؤل المثار هنا هو لماذا تم مع بداية دقليديانوس؟! إذ أنه من عادة التقاويم إكرام من تنسب إليهم، فكيف يمكن تخليد تولي دقلديانوس على العرش وهو من نكل بالمسيحيين وعمل على اضطهادهم؟! فعلى سبيل المثال يُنسب التقويم الميلادي إلى المسيح إكرامًا له واحتفاءً وابتهاجًا بيوم مولده، والتاريخ الهجري يُنسب إلى الهجرة النبوية احتفاء بهذا الحدث العظيم، وتعظيمًا لصاحب الهجرة النبوية محمد -عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة المنورة.
- -في التسمية ذاتها يظهر تناقض كبير، فالتقويم اسمه تقويم الشهداء بينما تكون بدايته بسنة تولي الجاني على هؤلاء الشهداء، وكان من الممكن والأولى التاريخ بمجمع نيقيه الذي انتصر لهم ولعقيدتهم، أو بالسنة التي تولى فيها قسطنطين وانتصر للكنسية بكاملها، وهي السنة التي تحولت فيها المسيحية من ديانة مُستضعفة إلى ديانة عالمية، أو كان بالإمكان الاستمرار على العمل بالتقويم الميلادي، أو بمولد أو استشهاد أحد الشهداء.

(1) توفيق، وزيف (2017): العلامة توت، ص26.

- –مع أن اضطهاد دقليديانوس على المسيحيين مُدون في كتب التاريخ، فأعتقد أنه قد يكون مبالغ فيه بشكل كبير وذلك من أجل شرعنة هذا التاريخ وفبركة هذه الخدعة التاريخية وتمريرها على عقول الأتباع، بحيث تم طمس الحقيقة الأصلية. ومن يقرأ التاريخ يجد تعرض المسيحيين لعدة اضطهادات قبل ذلك، وقد تم ذكر أهم تلك الاضطهادات في القرن الثالث الميلادي، والتي كانت خاصة بالكنيسة القبطية في كتاب تاريخ الكنسية القبطية[1]، ولم يؤرخ بأي من تلك الاضطهادات، كذلك لم يوجد أي تقويم خاص بها.
- عند النظر في تاريخ الاضطهاد نجد أن القرار الذي أصدره دقلديانوس ضد المسيحيين كان في 23 فبراير عام 303م، حيث يقضي هذا المنشور بهدم الكنائس وحرق الكتب المقدسة وطرد جميع ذوي المناصب الرفيعة من المسيحيين وحرمانهم من الحقوق المدنية[2].

ويمكن الربط بين تقويم الشهداء القبطي وبين حادثة الكهف واستنادًا على ما تم تقديمه في الملاحظات السابقة على التقويم بالآتي:

- من الملاحظات السابقة يتبين أن هذا التاريخ هو تاريخ الأريسيين، ليتوافق زمنيًا ومكانيًا معهم، وهو تاريخ الشهداء الأريسيين أهل الكهف والذي أبقت عليه الكنيسة القبطية حتى الآن، وهو التاريخ الذي اعتمدوه من أجل إحصاء المدة منذ حادثة أصحاب الكهف وحتى بعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.
- لو أردنا أن نحسب الفترة 309 سنة من بداية هذا التقويم وحتى بعثة النبي نجد أن هناك فارقًا قدره تسع سنوات، وقد يكون السبب في ذلك أحد أمرين: إما أن الكنيسة القبطية كانت تحسب ذلك بالتقويم القمري، بحيث لو حسبنا منذ بداية تاريخ الشهداء على أنه بالتاريخ القمري فإن ذلك يتوافق تمامًا مع بعثة الرسول –عليه السلام–. والأمر الثاني: أنهم ربما لم يكونوا على علم دقيق ومضبوط ببداية الحادثة وهذا قد تكلم فيه كثير من المفسرين كما تقدم معنا من خلال فهمهم للآيات "لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا

(1) يوحنا، ص86.

(2) توفيق، ص27.

لَبِثُوا أَمَدًا ". " قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ".

- من الممكن أن الكنيسة القبطية كانت تحسب للفترة حتى بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام منذ ذلك التاريخ بالتقويم القمري، وذلك كما تبين سابقًا في بعض روايات المفسرين أن النصارى كانوا يؤرخون للحادثة، لكن وفي فترة من الفترات ربما تكون بعد بعثة النبي وعدم إيمان بعضهم برسالته فإنهم لجأوا لتغيير ذلك، وعمدوا منذ ذلك الحين إلى الاعتماد على التقويم القبطي، وتوافق ذلك زمنيًا مع تولي دقلديانوس، ثم لجأوا إلى جعل هذا التقويم منسوبًا إلى بداية توليه، بينما الصحيح وحسب منهجية هذه الدراسة وترابط أحداثها فإن هذا التقويم وكما قدمنا هو تقويم الشهداء الأريسيين والذين بينا سابقًا أنهم هم أصحاب الكهف.

الزمن الفعلي والحقيقي للحادثة

أولًا: زمن الحادثة بالنسبة لبعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام:

من خلال ما تقدم وبتقديم كل الشواهد والدلائل التاريخية المرتبطة بعضها ببعض من جانب، وبحادثة أصحاب الكهف من جانب آخر، وكما تبين لنا أن الحادثة كانت بعد عيسى -عليه السلام- وقبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك ارتباطها الزمني الوثيق بالأريسية، ومجمع نيقيه، وتاريخ الشهداء، فإن هذا يؤكد لنا أن الناس وتحديدًا أتباع المسيح كانوا يؤرخون بحادثة أصحاب الكهف. وهذا ليس بغريب، لأن الأقوام في ذلك الزمان كانوا يؤرخون بالحوادث المهمة، فالعرب على سبيل المثال كانوا يؤرخون بالحوادث، مثل التاريخ بعام الفيل عند أهل مكة. ومن هذه الحادثة وكما تقدم معنا حول معنى الرقيم ثم تاريخ الشهداء فقد كانت عندهم مدة محددة يعلمونها ويعملون على عدها وإحصائها والتاريخ بها منذ زمن وقوعها إلى بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، وهذه المدة هي 309 سنوات.

ومما سبق ومع كل الشواهد والدلائل والنتائج التي تم التوصل إليها فإنه يمكن الجزم والتأكيد على أن المدة 309 سنوات إنما يُقصد بها المدة منذ وقوع الحادثة وحتى بعثة النبي -عليه الصلاة والسلام. وفي معنى الروح وكما تقدم واتضح أنه يُقصد بها القرآن الكريم، فإن

ذلك يحدد لنا نهاية المدة لهذه الفترة، فتكون بداية الفترة 309 سنوات هي بعثتهم في كهفهم من نومهم ونهايتها هي بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام ونزول القرآن الكريم في ليلة القدر." ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا"، "وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا "، " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا "،" إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ".

ولو أردنا أن نؤرخ للحادثة منذ بعثة الرسول فإنه يمكن القول وبالرجوع الزمني إلى وقت بعثة الفتية فإن بعثتهم كانت في عام 309 قبل بعثة الرسول –عليه الصلاة والسلام. وبطريقة معاكسة لو أردنا أن نؤرخ لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام منذ بعثة الفتية فإن بعثة الرسول تكون في عام 309 من تاريخ بعثة الفتية.

ثانيًا: زمن الحادثة بالنسبة للتاريخ منذ ميلاد عيسى عليه السلام:

من أجل تحديد بداية الحادثة ونهايتها بالتاريخ منذ ميلاد المسيح، فإن ذلك يكون بالرجوع بالزمن من بعثة الرسول التي تكون ما يقارب 609 أو 610 ميلادية إلى بداية الحادثة والبداية الفعلية للضرب على آذانهم ورقودهم في الكهف، وبطرح المدة 309 سنوات من ذلك فإن بعثتهم تكون عام 309 ميلادية تقريبًا، وبالرجوع أكثر إلى بداية الحادثة وطرح مدة نومهم والتي هي 34 عامًا و9 ليال و9 ساعات، فإن ذلك يوافق العام 275 للتاريخ الميلادي تقريبًا، وبالطريقة نفسها وبحساب ذلك بالتاريخ القمري منذ الميلاد فإن بعثتهم تكون عام 318 قمري تقريبًا منذ ميلاد المسيح، وبداية نومهم تكون ما يقارب 284 عامًا قمريًّا، منذ ميلاد عيسى عليه السلام.

وبشكل أكثر تحديدًا واستنادًا على ما تقدم فإنه يمكننا القول إن دخولهم كان في شهر رمضان من تلك السنة وهو الشهر التاسع من السنة القمرية نفسها، وذلك للمعطيات الآتية:

- من خلال ما تقدم على أن هناك علاقة بينهم وبين بعثة النبي عليه السلام والتي من الأرجح أنها تكون في ليلة القدر الموافقة لليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، فإنه وبعد الرجوع الزمني بالمدة نفسها من البعثة النبوية إلى بعثتهم، والرجوع كذلك بالمدة

نفسها التي لبثوها رقودًا في كهفهم فإن ذلك يوضح لنا أن بعثتهم كانت في الشهر القمري نفسه وهو شهر رمضان، وكذلك أيضًا بداية الضرب على آذانهم.

- هناك إشارة في الآيات تشير بشكل ضمني على أنهم كانوا صائمين، وذلك في الآية " فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ"، فذكر الطعام هنا يدل على أن لهم علاقة بعبادة متعلقة بالطعام، والعبادة التي تتعلق بالطعام من المعروف بداهةً أنها الصوم.
- من كلمة أزكى أيضًا يتضح المقصود بشكل أكبر، وهذا يقتضي معرفة الطقوس الشعائرية وطريقة الصيام عند النصارى، والدارس لتاريخ النصارى وعقيدتهم في الصوم، يجد أنهم عند صيامهم يأكلون أنواع معينة من الطعام ويمتنعون عن أخرى، فبعض النصارى يصومون إلى منتصف النهار ثم يأكلون أطعمة خالية من الدسم(1)، وفي بعض أصوامهم يأكلون أشياء نباتية ويتركون أكل اللحوم إلا السمك.(2)
- من خلال البحث تبين أن هؤلاء الفتية كانوا مؤمنين بالله وبالعقيدة الصحيحة، ومما اتضح أن يوم مرقدهم ويوم بعثتهم كان في شهر رمضان فإنه من المحتمل أن يكونوا صائمين فريضة الصوم المقررة في شهر رمضان، وذلك استنادًا إلى قول الله تعالى" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [البقرة: 183]، وبذلك فإنهم يخفون أمر التزامهم بالعقيدة الصحيحة في الصوم، وهذا ظاهر في قوله "وليتلطف" فمن المحتمل أنهم كانوا صائمين بالطريقة التي كان المسيح يصومها، ثم بدلها بعض أتباعه من بعده.(3)

(1) الخلف، سعود: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص341.

(2) حسنين، رمضان: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر عرض ونقد، ص410.

(3) الجوزية، ابن القيم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، 391/1.

الخلاصة:

مما تقدم في هذا المبحث وعلاقة ما تم التوصل إليه من علاقة حادثة أصحاب الكهف بالأريسيين وتقويم الشهداء وارتباط ذلك بما تقدم من نتائج في المبحثين السابقين فإن التعلقات الزمنية للحادثة تكون كالآتي:

أولًا: بالتاريخ القمري منذ ميلاد عيسى -عليه السلام-، وقبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام:

- كانت بداية الضرب على آذانهم في بداية ليلة التاسع من الشهر التاسع "رمضان" للعام 284 قمري منذ ميلاد المسيح.
- وكانت بعثتهم في نهاية ليلة الثامن عشر من رمضان عام 318 منذ ميلاد عيسى حسب التقويم القمري.
- وكانت بعثة الرسول -عليه الصلاة والسلام- في ليلة أو يوم السابع والعشرين من شهر رمضان عام 627 منذ ميلاد عيسى حسب التقويم القمري.
- وبعثة الرسول منذ يوم الحادثة تكون في السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة التاسعة بعد الثلاثمائة منذ بعثة أصحاب الكهف حسب التقويم القمري. وبصيغة أخرى تكون في: (اليوم التاسع من يوم بعثة أصحاب الكهف وفي الشهر التاسع من السنة القمرية وفي السنة التاسعة بعد الثلاثمائة: 300 سنة و9 سنوات و9 ليال و9ساعات"قمرية").

ثانيًا: بالتاريخ الشمسي منذ ميلاد عيسى عليه السلام وقبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام:

- كانت بداية الضرب على آذانهم عام 275 منذ ميلاد المسيح -عليه السلام، حسب التقويم الشمسي.
- كانت بعثتهم عام 309 منذ ميلاد المسيح حسب التقويم الشمسي.
- وبعثة الرسول -عليه الصلاة والسلام- حسب الحادثة تكون عام 300 منذ بعثة

أصحاب الكهف حسب التقويم الشمسي.

- -وكانت بعثة النبي محمد -عليه الصـــلاة والســـلام- نهاية عام 609 أو بدايات عام 610 منذ ميلاد المسيح حسب التقويم الشمسي.

وتحديد المدة بالتوافق ما بين التقويم القمري والتقويم الشمسي وحساب الفارق الدقيق بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتدقيق في ذلك.

الخاتمة والنتائج

من خلال ما تقدم في هذه الدراسة يمكن الخروج بحصيلة بأهم النتائج وهي كالآتي:

- ليست الحكمة بشكل أساسي من الحادثة كما يُشاع عنها ويتم تداولها في الروايات التاريخية أنها من أجل إثبات قدرة الله على البعث وعلى قدرة إحياء الموتى، إنما كان الغرض منها تأييد من رفض عقيدة الثالوث، وإثبات وحدانية الله جل وعلا، والتأكيد على أن عيسى ابن مريم بشر رسول من عند الله.
- عملت الحادثة على تصحيح الحساب والتقويم الذي كان يعمل به اليهود والنصارى منذ ميلاد المسيح عليه السلام، وأخبرت بالزمن المتبقي منذ الحادثة وحتى بعثة الرسول الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام.
- المقصود بالفترة ثلاثمائة في الآية الواردة في سورة الكهف هي ثلاثمائة شهر وليس سنة، وجاءت كلمة سنين قرينة لتوضح ذلك.
- كانت مدة لبث الفتية في كهفهم رقودًا منذ أن ضرب الله على آذانهم إلى أن بعثهم هي (ثلاثمائة شهر وتسع سنين وتسع ليالٍ وتسع ساعات).
- هناك علاقة وطيدة بين مدة لبث الفتية ومدة حياة عيسى عليه السلام، بحيث أن الفتية لبثوا في كهفهم رقودًا منذ أن ضرب الله على آذانهم إلى أن بعثهم مدة تساوي مدة حياة عيسى وهي (34 سنة "ثلاثمائة شهر وتسع سنين" وتسع ليال وتسع ساعات)، وكان هذا من الحكمة لوقوع الحادثة.
- هناك علاقة بين الحادثة وبين بعثة النبي محمد عليه الصـــلاة والســـلام، بحيث أن الفترة

(309) سنوات التي يتم تداولها في كتب التاريخ والتفسير إنما هي الفترة من بعثة الفتية من رقودهم إلى بعثة نبينا محمد بن عبد الله.

- المعنى الأقرب لكلمة الروح التي تم السؤال عنها من ضمن الأسئلة الثلاثة التي كانت سبب نزول الآيات الأولى في سورة الكهف هو القرآن الكريم.
- كانت بداية الحادثة عام 275 حسب التقويم الشمسي منذ ميلاد المسيح عليه السلام، و284 حسب التقويم القمري منذ ميلاد المسيح.
- كانت بعثتهم عام 309 حسب التقويم الشمسي منذ ميلاد المسيح، و318 حسب التقويم القمري منذ ميلاد المسيح عليه السلام.
- كان اليوم الذي بدأ الضرب على آذانهم هو يوم التاسع من شهر رمضان، واليوم الذي بعثوا فيه يوم الثامن عشر من شهر رمضان بعد 34 سنة وتسع ليال وتسع ساعات منذ بداية رقودهم.
- من الحادثة يتم تحديد عمر المسيح عليه السلام، وتحديد مولده ووفاته، حيث أن الفتية لبثوا مدة تساوي تلك المدة نفسها تمامًا.
- من الحادثة يتم تحديد بعثة النبي عليه السلام وهي تحديدًا في ليلة القدر أو ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، بحيث أن ذلك يتوافق تمامًا مع فترة (ثلاثمائة سنة وتسع سنوات وتسع ليال) منذ بعثة فتية الكهف.
- المعنى الأقرب لكلمة الرقيم الواردة في قصة أصحاب الكهف هو التقويم وتحديدًا التقويم الشمسي الذي يعتمد على الترقيم في تحديد الشهور، وليس على دورة القمر الشهرية.
- يعد تقويم الشهداء القبطي هو تقويم الشهداء أصحاب الكهف وليس تقويم الشهداء الذين قتلهم الإمبراطور دقلديانوس.
- فتية الكهف هم من النصارى الذين رفضوا عقيدة التثليث، وتحديدًا من أبناء ما أصبح يُعرف بالكنيسة القبطية، الموجودة بمدينة الإسكندرية. وأصحاب الرقيم يُقصد بهم أصحاب التقويم القبطي.

- فتية أصحاب الكهف هم من اتباع الطائفة الأريسية، أو أن أريوس نفسه هو واحد من الفتية، بحيث أن عمره كان يتوافق مع أعمارهم وقت لجوئهم إلى الكهف، ولا يوجد له ذكر في المصادر التاريخية في فترة لبثهم في الكهف.

المصادر والمراجع

ابن إسحاق، محمد (1978). *سيرة ابن إسحاق*، السير والمغازي، بيروت: دار الفكر.

الأعظمي، محمد (2003). *دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند*، ط2، الرياض: مكتبة الرشد.

الألباني، ناصر الدين. *كتاب ضعيف الجامع الصغير وزيادته*، الفتح الكبير، المكتب الإسلامي.

ايسيذورس، الأسقف. *الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة*، الكتاب الأول، د.ن، د.ت.

توفيق، وزيف (2017). *العلامة توت*.

ابن تيمية، تقي الدين (1414هـ). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، الرياض: دار العاصمة.

الجناجي، حسن (1987). *خصائص النظم في خصائص العربية لأبي الفتح عثمان بن جني*، مصر: دار الطباعة المحمدية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (1999). *الخصائص*، ط4، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الجوزية، ابن القيم (1461هـ). *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*، تحقيق/ محمد أحمد الحاج، دمشق، دار القلم.

الجوزية، ابن قيم (2019). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الطبعة الرابعة، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، الرياض: دار عطاءات العلم، بيروت، دار ابن حزم، الجزء 1.

حسنين، رمضان (2004). *جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر عرض ونقد، رسالة دكتوراه منشورة*، قسم الدعوة والثقافة

الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر.

الخضري، حنا (1981). *تاريخ الفكر المسيحي، يسوع المسيح عبر الأجيال*، المجلد الأول، القاهرة: دار الثقافة.

الخلف، سعود (2004). *دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية*، الطبعة الرابعة، الرياض: مكتبة أضواء السلف.

رستم، أسد. *كنيسة الله، أنطاكية العظمى*.

الزمخشري، أبو القاسم (1407هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي.

سليمان، فاضل (2010). *أقباط مسلون قبل محمد*، القاهرة: شركة النور للإنتاج الإعلامي والتوزيع.

السيوطي، جلال الدين، *لباب النقول في أسباب النزول*، تحقيق، أحمد عبد الشافي، لبنان: دار الكتب العلمية- بيروت.

الشعراوي، محمد (1997). *تفسير الشعراوي الخواطر*، القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الشنقيطي، محمد الأمين (2019). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، الرياض: دار عطاءات العلم.

الشوكاني، محمد (1414هـ). *فتح القدير*، دمشق: دار ابن كثير.

الصنعاني، محمد (2011). *التنوير شرح الجامع الصغير*، تحقيق، محمد إسحاق محمد إبراهيم، الرياض: مكتبة دار السلام.

الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، مكة المكرمة: دار التربية والتراث.

ابن عاشور، محمد الطاهر (1984). *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر.

العثيمين، محمد (1423هـ). *تفسير سورة الكهف*، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

العقاد، عباس (2017). *حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث*، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

العلياني، علي. *عقيدة التثليث عند النصارى، عرض ونقد، مجلة الدراسات العربية*، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

عماد الدين، أبو الفداء. *المختصر في أخبار البشر*، مصر: المطبعة الحسينية المصرية.

قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين.

القرطبي، محمد (1964). *الجامع لأحكام القرآن*، الطبعة الثانية، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية.

ابن كثير، أبو الفداء (1419هـ). *تفسير القرآن العظيم*، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

المباركفوري، صفي الرحمن. *الرحيق المختوم*، بيروت: دار الهلال.

المجذوب، أحمد (1999). *أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن*، الطبعة الثالثة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

مدحت، محمود (1998). *مصر القبطية*، القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الانسان.

المطعني، عبد العظيم (1992). *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*، مكتبة وهبة.

المناوي، عبد الرؤوف (1356هـ). *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

النحال، بهاء (1994). *تأملات في الأناجيل والعقيدة*، الطبعة الثانية.

يوحنا، القس منسي. *تاريخ الكنيسة القبطية*، مكتبة المحبة، بدون ذكر الناشر والسنة.

References:

al-Albānī, Nāṣir al-Dīn. *Kitāb Ḍa'īf al-Jāmi' al-Ṣaghīr wa-ziyāyadatuhu, al-Fatḥ al-kabīr*, al-Maktab al-Islāmī.

al-'Alyānī, 'Alī. *'aqīdat al-Tathlīth 'inda al-Naṣārá, 'arḍ wa-naqd, Majallat al-Dirāsāt al-'Arabīyah*, Kullīyat Dār al-

‘Ulūm, Jāmi‘at al-Minyā.

al-‘Aqqād, ‘Abbās (2017). *ḥayāt al-Masīḥ fī al-tārīkh wkshwf al-‘aṣr al-ḥadīth*, al-Mamlakah al-Muttaḥidah : Mu’assasat Hindāwī.

al-A‘ẓamī, Muḥammad (2003). *Dirāsāt fī al-Yahūdīyah wa-al-Masīḥīyah wa-adyān al-Hind*, ṭ2, al-Riyāḍ : Maktabat al-Rushd.

al-Janājī, Ḥasan (1987). *Khaṣā’iṣ al-nuẓum fī Khaṣā’iṣ al-‘Arabīyah li-Abī al-Fatḥ ‘Uthmān ibn Jinnī*, Miṣr : Dār al-Ṭibā‘ah al-Muḥammadīyah.

al-Jawzīyah, Ibn al-Qayyim (1461h). *Hidāyat al-ḥayārá fī Ajwibat al-Yahūd wa-al-Naṣārá*, taḥqīq / Muḥammad Aḥmad al-Ḥājj, Dimashq, Dār al-Qalam.

al-Jawzīyah, Ibn Qayyim (2019). *Hidāyat al-ḥayārá fī Ajwibat al-Yahūd wa-al-Naṣārá*, al-Ṭab‘ah al-rābi‘ah, taḥqīq ‘Uthmān Jum‘ah Ḍumayrīyah, al-Riyāḍ : Dār ‘aṭā’āt al-‘Ilm, Bayrūt, Dār Ibn Ḥazm, al-juz’ 1.

al-Khalaf, Sa‘ūd (2004). *Dirāsāt fī al-adyān al-Yahūdīyah wa-al-Naṣrānīyah*, al-Ṭab‘ah al-rābi‘ah, al-Riyāḍ : Maktabat Aḍwā’ al-Salaf.

al-Khuḍarī, Ḥannā (1981). *Tārīkh al-Fikr al-Masīḥī, Yasū‘ al-Masīḥ ‘abra al-ajyāl, al-mujallad al-Awwal*, al-Qāhirah : Dār al-Thaqāfah.

al-Majdhūb, Aḥmad (1999). *ahl al-Kahf fī al-Tawrāh wa-al-Injīl wa-al-Qur’ān, al-Ṭab‘ah al-thālithah*, al-Qāhirah : al-Dār al-Miṣrīyah al-Lubnānīyah.

al-Maṭ‘anī, ‘Abd al-‘Aẓīm (1992). *Khaṣā’iṣ al-ta‘bīr al-Qur’ānī wa-simātuh al-balāghīyah*, Maktabat Wahbah.

al-Mubārakfūrī, Ṣafī al-Raḥmān. *al-Raḥīq al-makhtūm*, Bayrūt: Dār al-Hilāl.

al-Munāwī, ‘Abd al-Ra’ūf (1356h). *Fayḍ al-qadīr sharḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr*, Miṣr : al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrá.

al-Naḥḥāl, Bahā’ (1994). *Ta’ammulāt fī al-Anājīl wa-al-‘aqīdah*, al-Ṭab‘ah al-thāniyah.

al-Qurṭubī, Muḥammad (1964). *al-Jāmi‘ li-aḥkām al-Qur’ān*, al-

Ṭab‘ah al-thāniyah, taḥqīq Aḥmad al-Baraddūnī wa-Ibrāhīm Aṭṭafayyish, al-Qāhirah : Dār al-Kutub al-Miṣrīyah.

al-Ṣan‘ānī, Muḥammad (2011). *al-Tanwīr sharḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr*, taḥqīq, Muḥammad Isḥāq Muḥammad Ibrāhīm, al-Riyāḍ: Maktabat Dār al-Salām.

al-Sha‘rāwī, Muḥammad (1997). *tafsīr al-Sha‘rāwī al-khawāṭir*, al-Qāhirah: Maṭābi‘ Akhbār al-yawm.

al-Shawkānī, Muḥammad (1414h). *Fatḥ al-qadīr*, Dimashq: Dār Ibn Kathīr.

al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn (2019). *Aḍwā’ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur’ān bi-al-Qur’ān*, al-Riyāḍ: Dār ‘aṭā’āt al-‘Ilm.

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. *Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān*, Makkah al-Mukarramah: Dār al-Tarbiyah wa-al-Turāth.

al-‘Uthaymīn, Muḥammad (1423h). *tafsīr Sūrat al-Kahf*, al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa‘ūdīyah: Dār Ibn al-Jawzī lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.

al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim (1407h). *al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl*, al-Ṭab‘ah al-thālithah, Bayrūt: Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

Aysydhwrs, al-Usquf. *al-Kharīdah al-nafsīyah fī Tārīkh al-Kanīsah, al-Kitāb al-Awwa*l, D. N, D. t.

Ḥasanayn, Ramaḍān (2004). *Juhūd ‘ulamā’ al-Muslimīn fī Naqd al-Kitāb al-Muqaddas min al-qarn al-thāmin al-Hijrī ilá al-‘aṣr al-ḥāḍir ‘arḍ wa-naqd, Risālat duktūrāh manshūrah*, Qism al-Da‘wah wa-al-Thaqāfah al-Islāmīyah, Kullīyat uṣūl al-Dīn wa-al-Da‘wah, Jāmi‘at al-Azhar.

Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir (1984). *al-Taḥrīr wa-al-tanwīr*, Tūnis : al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr.

Ibn Isḥāq, Muḥammad (1978). *sīrat Ibn Isḥāq, al-siyar wālmghāzy*, Bayrūt : Dār al-Fikr.

Ibn Jinnī, Abū al-Fatḥ ‘Uthmān (1999). *al-Khaṣā’iṣ*, ṭ4, al-Qāhirah : al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.

Ibn Kathīr, Abū al-Fidā’ (1419h). *tafsīr al-Qur’ān al-‘Aẓīm*, Bayrūt: Dār al-Kutub al-

‘Ilmīyah, Manshūrāt Muḥammad ‘Alī Bayḍūn.

Ibn Taymīyah, Taqī al-Dīn (1414h). *al-jawāb al-ṣaḥīḥ li-man Badal dīn al-Masīḥ*, al-Riyāḍ: Dār al-‘Āṣimah.

‘Imād al-Dīn, Abū al-Fidā’. *al-Mukhtaṣar fī Akhbār al-bashar*, Miṣr: al-Maṭba‘ah al-Ḥusaynīyah al-Miṣrīyah.

Midḥat, Maḥmūd (1998). *Miṣr al-Qibṭīyah*, al-Qāhirah: Markaz al-Dirāsāt wa-al-Ma‘lūmāt al-qānūnīyah li-Ḥuqūq al-insān.

Qāmūs al-Kitāb al-Muqaddas, nukhbah min al-asātidhah dhawī al-ikhtiṣāṣ wa-man al-lāhūtīyīn.

Rustum, Asad. *Kanīsat Allāh,* Anṭākiyah al-‘Uẓmá.

Sulaymān, Fāḍil (2010). *Aqbāṭ Muslimūn qabla Muḥammad*, al-Qāhirah : Sharikat al-Nūr lil-Intāj al-I‘lāmī wa-al-Tawzī‘.

Tawfīq, wa-zayf (2017). *al-‘allāmah Tūt*.

Yūḥannā, al-Qiss Mansī. *Tārīkh al-Kanīsah al-Qibṭīyah*, Maktabat al-Maḥabbah, bi-dūn dhikr al-Nāshir wa-al-sunnah.